غريغوار دولاكور



لائحة رغباتي

رواية

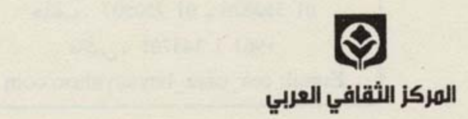
المركز الثقافي العربي

غريغوار دولاكور

لائحة رغباتي

روايــة

ترجمة: معن عاقل



المركز الثقافي العربي

غريغوار دولاكور

لائحة رغباتي

العنوان الأصلي للكتاب:

La Liste de mes envies

الكتاب

لائحة رغباتي

تأليف

غريغوار دولاكور

ترجمة

معن عاقل

الطبعة

الأولى، 2014

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-671-4

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء - المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 - 0522 307651

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت - لبنان

ص.ب: 5158 - 113 الحمراء

شارع جاندارك - بناية المقدسي

هاتف: 750507 01 - 352826 01

فاكس: 343701 1 961+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com

إلى الفتاة الجالسة هناك على السيارة؛

أجل، كانت هناك

«مع أننا نكابد جميع الأحزان،
ونختبر جميع الأحزان؛
لكن ليس أمامنا إلا التقدم، إلا الحب».

المستقبل الداخلي، فرانسواز لوروا

يكذب الناس على أنفسهم دوماً.

أعرف حق المعرفة، مثلاً، أنني لست جميلة. فليس لدي عينان زرقاوان يتأملهما الرجال ويرغبون في الغرق فيهما حتى يغطس أحد لإنقاذهم. وليس لدي قَدُّ عارضة أزياء، فأنا من النوع الممتلئ، لا بل البدين. ذلك النوع الذي يشغل المكان ونصف المكان. ولا يمكن لرجل متوسط الحجم أن يحيط جسدي بذراعيه إحاطة كاملة. ولست من النسوة اللاتي يهمس لهن الرجال عبارات طويلة، مع تنهيدات تقوم مقام علامات الترقيم. لا، ليس لي هذه النعمة. فأنا أستثير بالأحرى عبارة قصيرة. صيغة فظة. الهيكل العظمي للرغبة، مجرداً من اللحم، مجرداً من الدهن المريح.

أعرف كل هذا.

مع ذلك، وعندما لا يكون جو قد عاد بعد، يحدث أن أصعد إلى حجرتنا وأقف أمام المرآة المثبتة بخزانة ملابسنا - يجب أن أذكِّره أن يثبتها على الحائط قبل أن تسحقني يوماً أثناء **تأملاتي**.

أغمض عيني، عندئذٍ، وأتعرى برفق وهدوء، كما لم يعرِّني شخص قط. وفي كل مرة أشعر بشيء من البرد، فأرتعش. وعندما أصبح عارية تماماً، أنتظر قليلاً قبل أن أفتح عيني. أتذوق عُريي

بمتعة، أشرد. أحلم. تخطر في ذهني صور الأجساد المثيرة الواهنة في كتب الرسم المبعثرة في منزلنا؛ ثم بعد ذلك، الأجساد الأكثر فتوة التي تعرضها المجلات.

ثم أفتح بهدوء جفنيَّ، كما في التصوير البطيء.

أنظر إلى جسدي، إلى عيني السوداوين، ونهدي الصغيرين، وذاك الجزء من جسدي الذي يأخذ شكل طوق النجاة، والشعر الذي شكَّل غابة صغيرة ظليلة وأجد نفسي جميلة وأقسم لكم أنني في تلك اللحظة أكون جميلة، وفائقة الجمال حتى.

هذا الجمال يجعلني سعيدة بعمق. وقوية على نحو مرعب.

يُنسيني هذا الجمال كل الأشياء المبتذلة. متجر الخياطة المثير للسأم قليلاً. المحل الحديث ويانصيب دانييل وفرانسواز - الأختان التوأمان اللتان تديران صالون كواف استيتيك المجاور لمتجر الخياطة. يُنسيني هذا الجمال الأشياء الثابتة. مثل حياة دون حكايات. مثل هذه المدينة المرعبة، دون مطار؛ هذه المدينة المكفهرة التي لا يستطيع أحد أن يفرّ منها ولا يصل إليها أحد قط، ولا أي فاتك بالقلوب، ولا أي فارس أبيض على جواد أبيض.

آراس. عدد سكانها أربع وعشرون ألف نسمة، وفيها أربعة متاجر كبرى وأحد عشر سوبر ماركت وأربعة محلات للوجبات السريعة وبضعة شوارع من القرون الوسطى، وشاخصة شارع ميروار - دو - فينيس التي تشير للعابرين والشاردين أن أوجين - فرانسوا فيدوك ولد هنا في 24 تموز/ يوليو عام 1775. ومن ثم حانوتي للخياطة.

يبدو لي، وأنا عارية وجميلة جداً أمام المرآة، أنه يكفيني فقط

أن أرفرف بذراعي حتى أحلِّق، خفيفة ورشيقة. وحتى ينضم جسدي إلى تلك الأجساد الموجودة في كتب الفن المبعثرة في منزل طفولتي. سيكون جسدي مثلها حتماً.

لكنني لم أتجرأ قط.

تباغتني دوماً ضجة جو القادمة من الأسفل. إنه شرخٌ في حرير حلمي. أرتدي ملابسي على عجل. يغطي الظلّ بهاء بشرتي. أعرف الجمال الفريد تحت ملابسي. لكن جو لم يرَهُ قط.

ذات مرة، قال لي إنني جميلة. قبل عشرين عاماً كنت قد تجاوزت سن العشرين بقليل. كنت أرتدي بأناقة ثوباً أزرق وحزاماً ذهبياً، وأبدو بالهيئة الزائفة لملبوسات ديور؛ كان يريد مضاجعتي. انتصرت مجاملته على ملابسي الجميلة.

وكما ترون، يكذب المرء على نفسه دوماً.

لأن الحب لا يصمد أمام الحقيقة.

جو هو جوسلن. زوجي منذ واحد وعشرين عاماً.

إنه يشبه فينانتينو فينانتيني، الفتى الوسيم الذي مثَّل دور ميكي المتلعثم في فيلم **الكلب** ودور باسكال مطلق النار في فيلم **التونتون مطلقو النار**. لديه فكٌّ صلبٌ، ونظرة داكنة، ونبرة إيطالية مثيرة للضحك، شمس، بشرة ذهبية، تمتمات في الصوت تجعل القشعريرة تسري بين العشيقات ما عدا أن زوجي جوسلينو جوسلاني لديه عشرة كيلوغرامات زيادة في الوزن ونبرة لا تذهل الفتيات.

يعمل عند هياجن - داز منذ افتتاح مصنعه عام 1990، ويكسب ألفين وأربعمئة أورو في الشهر. يحلم بشاشة مسطَّحة مكان جهاز الراديولا القديم. وبسيارة بورش كايين. وموقد في الصالون. ومجموعة كاملة من أفلام **جيمس بوند** موضوعة على دي في دي. وبساعة سايكو. وبامرأة أجمل وأكثر شباباً مني، لكن هذا ما لم يقله لي.

لدينا طفلان. ثلاثة في الواقع، صبي وفتاة وجثة.

حَملْتُ برومانٍ في الأمسية التي قال لي جو فيها إنه يجدني جميلة وهذه الكذبة أفقدتني رشدي وملابسي وعذريتي. واحتمال أن أحمل برومان لا يتعدى واحداً من ملايين الاحتمالات، وقد حدث

هذا الاحتمال معي. جاءت نادين بعد عامين ومذ ذاك لم أستعد قط وزني المثالي. وبقيتُ بدينة، امرأة حبلى بالخواء، بالون منفوخ لا يملؤه شيء.

فقاعة هواء.

كفَّ جو عن أن يجدني جميلة وكفَّ عن لمسي؛ وراح يتسكع أمام تلفزيون الراديولا في المساء وهو يأكل البوظة التي أُعطيَتْ له في المصنع، ثم يشرب بيرة إكسبورت 33. واعتدْتُ على النوم وحيدة.

أيقظني ذات ليلة. كان فظاً تماماً وثملاً، وكان يبكي. عندئذٍ احتضنته وفي تلك الليلة اندسّت ناديج في بطني وانغرستْ في أحشائي وحزني. وعندما ولدتها بعد ثمانية أشهر كانت زرقاء اللون. كان قلبها صامتاً. لكن أظافرها كانت ساحرة، ورموشها طويلة، وأنا واثقة أنها كانت جميلة ولو أني لم أرَ لون عينيها قط.

في يوم ولادة ناديج، وهو يوم وفاتها أيضاً، توقف جو عن احتساء البيرة. حطَّم الأشياء في مطبخنا. صرخ. قال إن الحياة قذرة، وإن الحياة هي عهر، وعاهرة العهر. لطم صدره وجبهته وقلبه والجدران. قال إنها حياة مفرطة القِصر. وهذا ظلم. لا بد من الاستفادة منها في الفحش لأن المرء ليس لديه وقت؛ صغيرتي، قال مخاطباً ناديج، ابنتي الصغيرة، أين أنت؟ أين أنت يا حبيبتي؟ أسرع رومان ونادين إلى حجرتهما وفي ذلك اليوم بدأ جو يحلم بالأشياء الجميلة التي تجعل الحياة أكثر عذوبة والألم أخف حدة. شاشة مسطحة. سيارة من نوع بورش كايين. جيمس بوند. وامرأة جميلة. لقد كان حزيناً.

أمّا أنا فأطلق عليَّ أبواي اسم جوسلين.

واحتمال أن أتزوج من جوسلن لا يتعدى واحداً من ملايين الاحتمالات. جوسلن وجوسلين. مارتان ومارتين، لويس ولويز. لوران ولورانس. رافائل ورافائيل. بول وبولي. ميشيل وميشيلي. احتمال من ملايين الاحتمالات.

وهذا الاحتمال حدث معي.

استأنفتُ العمل في المتجر في سنة زواجي من جو.

كنت أعمل فيه سابقاً منذ عامين حين ابتلعَت صاحبته عن طريق الخطأ زرّاً كانت تعضعضه لتتأكد أنه من العاج الجيد. انزلق الزر في بلعومها، وهاجم الرابط الحلقي الدرقي واستقر في الشريان الأبهر، لذلك لم يسمع أحد صوت اختناق السيدة بيلارد، ولا حتى أنا، فقد سد الزر-كل شيء.

ضجة السقوط هي التي نبهتني.

سحب الجسد أثناء سقوطه علب الأزرار؛ وتدحرج ثمانية آلاف زر، في الحانوت الصغير وأول شيء فكرت فيه عند اكتشاف المأساة: كم من الأيام والليالي سأمضي على يديّ وقدمي في فرز ثمانية آلاف زر، الفنتازي والمعدني والخشبي وأزرار الأطفال وأزرار الخياطة الراقية... إلخ.

وصل ابن السيدة بيلارد بالتبني من مرسيليا لحضور الدفن واقترح علي أن أشتري الحانوت، وافق المصرف وفي الثاني عشر من آذار/ مارس عام 1990 جاء رسام مرهف ليخطّ عبارة **حانوت جو لأدوات الخياطة، منزل بيلارد سابقاً**، على الواجهة، وعلى باب الحانوت الصغير. كان جو مزهواً. كان يقول **متجر جو**

لأدوات الخياطة، وهو ينفخ صدره كأنه يتقلد وساماً، جو، جو، إنه أنا، هذا اسمي!

كنت أنظر إليه وأجده جميلاً وكنت أفكر أنني محظوظة لأنني حظيت به زوجاً.

كانت السنة الأولى من الزواج ملتهبة. متجر أدوات خياطة وعمل جو الجديد في المصنع والولادة المقبلة لرومان.

لكن حال متجر الخياطة ليس على ما يرام الآن. يترتب عليَّ أن أواجه منافسة أربعة متاجر كبرى وأحد عشر سوبر ماركت والأسعار البخسة لبائعي أدوات الخياطة في سوق السبت، والأزمة التي تجعل الناس خائفين وكريهين، وكسل الآرجوازيين الذين يفضّلون سهولة ما هو جاهز على إبداع اللباس المشغول باليد.

في شهر أيلول/ سبتمبر، يأتي الناس ليطلبوا مني ملصقات خياطة نسيجية أو ملصقات حرارية، وبضعة سحابات، وإبراً وخيطاناً عندما يرغبون برتق ملابس العام الماضي أكثر من شراء ملابس جديدة.

وفي عيد الميلاد، يأتي معلمو الملابس التنكرية. تبقى ثياب الأميرة أفضل مبيعاتي، تليها ملابس الفريز واليقطين. وبالنسبة إلى السن المحيِّر للصبيان، يُباع لباس القرصان جيداً. وفي العام الماضي كان جنون السومو.

ثم يسود الهدوء حتى الربيع. بضعة علب خياطة، ماكنتَي خياطة أو ثلاث وأقمشة بالمتر. وبانتظار معجزة، أطرِّز. تُباع موديلاتي بأسعار أفضل. خاصة قماط الأطفال حديثي الولادة، والخمارات والكنزات القطنية المشغولة بالسنارة.

أغلق المتجر في الظهيرة وحتى الثانية بعد الظهر وأذهب لتناول الغداء وحيدة في المنزل. أحياناً عندما يكون الطقس صحواً أذهب مع دانييل وفرانسواز لتناول فطيرة على الشرفة، في ليستامينيه أو في مقهى لوفي المطل على ساحة هيرو.

إنهما توأمان وجميلتان. أعرف حق المعرفة أنهما تستخدماني لتزيدا من جمال قامتيهما الرشيقتين، وسيقانهما الطويلة وعيونهما الصافية كعيون الظباء، والجافلتين على نحو ساحر. تبتسمان للرجال الذين يتناولون طعامهم فرادى أو مثنى، تتغنجان، وأحياناً تهدلان. جسداهما يلقيان بالرسائل، تنهيداتهما زجاجات يحملها البحر، وأحياناً يلتقط رجل إحداها، في الوقت المخصص للمقهى، كهمسة وعد أو كخيبة - يفتقر الرجال كثيراً للخيال؛ ثم يحين موعد افتتاح حوانيتنا من جديد. في تلك اللحظة دوماً، على طريق العودة، تعاود أكاذيبنا ظهورها. تقول دانييل، ضقتُ ذرعاً بهذه المدينة، وأشعر أني أعيش في منشور تاريخي، آه آه ه ه ه إني أختنق، وبعد عام سأكون بعيدة؛ في الشمس، سَأُجري عملية تجميل لنهديّ. تضيف فرانسواز، لو كان لدي نقود لتركتُ كل شيء فجأة، هكذا بين ليلة وضحاها، وأنتِ جو؟

أن أغدو جميلة ونحيلة ولا يكذب علي أحد، ولا حتى أنا نفسي. لكني لا أجيبها بشيء، وأكتفي بابتسامة للجميلتين التوأمين. إنه الكذب.

وعندما لا يكون لدينا زبائن؛ تقترحان علي دوماً طلاءً للأظافر أو تسريحة للشعر أو قناعاً للتجميل أو الثرثرة كما يقلن. أما أنا فأحيك لهما قبعات وقفازات لا ترتديانهما أبداً. وبفضلهما أنا امرأة

بدينة وقصيرة ولكنني امرأة تعتني بمظهرها ولها أظافر مطلية؛ وأنا مطَّلعة على مضاجعات الجميع، وعلى مشاكل دينيس صاحبة لا ميزون دو تابلييه مع الغادرة جينييفر دو لوْز ومنتجاتها الكحولية بنسبة 49%، وأعرف عاملة الخياطة عند شارلي-فورني التي زادت عشرين كيلو غراماً منذ أن أغرِم زوجها بعاملة غسل الشعر عند جان-جاك، ونحن نشعر بأننا ثلاثتنا الشخصيات الأكثر أهمية في العالم.

وأخيراً نحن من آراس.

من الشارع على أي حال.

أنا الآن في السابعة والأربعين.

غادرنا أولادنا. رومان في غرونوبل في السنة الثانية بكلية التجارة. نادين في إنجلترا، تعمل جليسة أطفال وفي صناعة أفلام الفيديو. عُرِضَ أحد أفلامها في أحد المهرجانات وحاز على جائزة ففقدناها منذ ذلك الوقت.

المرة الأخيرة التي شاهدناها فيها كانت في عيد الميلاد في السنة الماضية.

عندما سألها والدها ما الذي تفعله، أخرجت كاميرتها الصغيرة من حقيبتها ووصلتها إلى تلفزيون الراديولا. لا تحبّ نادين الكلمات. تتكلم قليلاً جداً منذ أن بدأت تتكلم. وعلى سبيل المثال لم تقُل لي قط ماما أنا جائعة. كانت تنهض وتأخذ شيئاً ما للأكل. لم تقل قط: استظهري لي قصيدتي أو درسي أو جداول الضرب. كانت تحرس الكلمات في سرّها، كما لو أنها نادرة. كنت أنا وهي نُصَرِّفُ الصمت: نظرات وإيماءات وتنهيدات عوضاً عن الفاعل والفعل والمفعول به.

على الشاشة ظهرت صور بالأسود والأبيض لقطارات وسكك حديد وآلات لتحويل مسارات القطارات؛ في البداية كانت بطيئة

للغاية، ثم تسارع كل شيء بالتدريج، تنضدت الصور، وأصبح الإيقاع فاتناً ومذهلاً؛ نهض جو وتناول بيرة دون كحول من الثلاجة؛ لم أكن أستطيع أن أحيد بنظري عن الشاشة، يدي أمسكت يد ابنتي، **فاعل**، أمواج اخترقت جسدي، **فعل**، نادين ابتسمت، **مفعول به**. كان جو يتثاءب. كنت أبكي.

عندما انتهى الفيلم، قال جو إنه لو كان بالألوان ومع صوت وعلى شاشة مسطحة، لكان فيلماً لا بأس به لفتاة فتية، وأنا قلت لها شكراً، شكراً يا نادين، لم أعرف ما أردْتِ أن تقوليه في فيلمك، لكنني شعرت حقاً بشيء ما. فَصَلَتْ الكاميرا عن تلفزيون الراديولا وهمست وهي تنظر إلي: كتبتُ **موسيقا البوليرو** لرافائيل بالصورة يا أمي، حتى يستطيع الصُّم سماعه.

عندئذٍ ضممت ابنتي إلى جسدي المترهّل، وتركت دموعي تنهمر لأنني حتى لو لم أفهم كل شيء، كنت أخمن أنها تعيش في عالم بلا رياء.

في فترة هذه العلاقة كنت أماً كاملة.

وصل رومان في ما بعد، في فترة قالب الحلوى والهدايا. كان يتأبط ذراع **فتاة**. شرب التورتيل مع والده وهو مشمئز قائلاً: هذا الشيء مصنوع من بول الحمير فأسكته جو مفلتاً تعجباً شريراً، ولو سأل ناديج عمّن صنع هذه البيرة الرديئة، لقالت له إنه فرج صغير، فرج صغير قذر. تثاءبت **الفتاة** عندئذٍ وأُفْسدَتْ ليلة عيد الميلاد. لم تقل نادين إلى اللقاء، تلاشت في البرد، متطايرة كالبخار. أنهى رومان تناول حلوى الميلاد؛ مسح شفتيه بقفا يده، ولحس أصابعه فتساءلتُ عندئذٍ عن جدوى كل تلك السنوات التي علّمته فيها على

آداب المائدة، وألا يضع مرفقيه على الطاولة وأن يقول شكراً؛ كلها أكاذيب. قبل أن يغادرنا بدوره، أخبرنا أنه أوقف دراسته وأنه سيذهب للعمل مع الفتاة كنادل في باليه بروتون، في مطعم للفطائر في إيرياج، وهي مدينة حمامات على بعد عشرة دقائق من غرونوبل. نظرتُ إلى زوجي جو، كانت عيناي تصرخان، قلْ شيئاً ما، امنعه، أوقفه، لكنه رفع زجاجته نحو ابننا، كما يفعل الرجال أحياناً في الأفلام الأميركية، وتمنى له حظاً سعيداً وكان هذا كل شيء.

هو ذاك، إنني في السابعة والأربعين من عمري.

يعيش طفلانا اليوم حياتهما. لم يعد جو يتركني من أجل امرأة أكثر شباباً وأكثر رقة وجمالاً. يعمل كثيراً في المصنع؛ أعطوه مكافأة في الشهر الماضي وقالوا له إنه إذا ما تابع تدريبه، فسيغدو يوماً رئيس عمال؛ رئيس عمال، كان هذا سيقرِّبه من أحلامه.

سيارته الكايين، وشاشته المسطحة، ساعته الموقتة.

أما أنا، فتلاشت أحلامي.

في الصف الخامس الابتدائي، كنت أحلم بتقبيل فابيان ديروم وهذه جولييت بوكيت هي من حظيت بحق قبلته.

في 14 تموز/ يوليو عندما كنت في الثالثة عشر من عمري، رقصتُ على أنغام أغنية «الصيف الهندي» وصليت حتى يدسّ مراقصي يده في صدري الناهد حديثاً، فلم يتجرّأ. شاهدته بعد رقصة السلو يضحك مع رفاقه.

في عامي السابع عشر، حلمتُ أن والدتي نهضت ثانية عن الرصيف الذي سقطت عليه بقوة، مطلقةً صيحة مكتومة، حلمتُ أنّ ذلك لم يكن حقيقياً، لم يكن حقيقياً، لم يكن حقيقياً؛ واختفت فجأة من بين ساقيها تلك البقعة التي بللت ثيابها على نحو مخجل. حلمتُ أن أمي أصبحت خالدة، وأنه بوسعها مساعدتي في خياطة ثوب زفافي يوماً وبوسعها أن تنصحني في اختيار إضمامة الورد والعطر والكاتو واللون الباهت للملبّس.

في سن العشرين كنتُ أحلم أن أصبح كاتبة، وأن أنطلق إلى باريس لأتابع دروس استديو بيرسو أو إيسمو، لكن والدي كان مريضاً آنذاك وقبلتُ هذا العمل في حانوت مدام بيلارد. كنت أحلم

حينذاك سراً بسولال، بالأمير الفاتن، بجوني ديب(*) وكيفن كوستنر(**) قبل أن يستخدم الزرعات الهرمونية، وكان جوسلن غيربيت، حبيبي المقنَّع فينانتينو فينانتيني، البدين والمجامل برقة.

التقينا أول مرة في الحانوت حين جاء ليشتري ثلاثين سنتيمتراً من دانتيلا فالانسيين لوالدته، دنتيلا مغزولة بخيوط مستمرة، رقيقة جداً، وعليها تطريزات مشغولة بطريقة باهتة؛ أعجوبة، بل أنتِ الأعجوبة، قال لي. أَحْمَرُّ خجلاً. ويتسارع خفقان قلبي. ابتسمَ. يعرفُ الرجال ما تثيره بعض الكلمات من كوارث في قلوب الفتيات، ونحن الحمقاوات المسكينات، يُغمى علينا ونقع في الفخ، وقد أثارنا أن رجلاً نصب لنا فخاً أخيراً.

عرض أن نتناول القهوة بعد إغلاق المتجر. كنتُ قد حلمت مئة مرة وألف مرة باللحظة التي سيدعوني فيها رجل ويغازلني ويشتهيني. كنتُ قد حلمت أنني مفتونة، يحملني بعيداً هدير سيارة سريعة، محلِّقة على متن طائرة تطير نحو الجزر. كنتُ قد حلمت بالكوكتيل

(*) جوني ديب (بالإنجليزية: Johnny Depp) ولد جون كريستوفر ديب الثاني يوم 9 حزيران/ يونيو، 1963. وهو ممثل أمريكي، رشِّح لجوائز الأكاديمية، يُعرف بحبه لتأدية الأدوار الغريبة، حصل على لقب أكثر الرجال الأحياء جاذبية أكثر من مرة وذلك بسبب وسامته التي تضعه بجانب براد بيت وتوم كروز.

(**) كيفين كوستنر: مخرج وممثل أمريكي من مواليد 18 كانون الثاني/ يناير 1955، فائز بجائزة الأوسكار مرتين لأفضل فيلم وأفضل مخرج عام 1990 عن فيلم **الرقص مع الذئاب**، كما فاز بالفيلم نفسه على جائزة الغولدن غلوب 1991 لأفضل مخرج، قام ببطولة العديد من الأفلام منها **جي إف كي** وساعي **البريد**.

الأحمر والسمك الأبيض والفلفل الحلو والياسمين، لكن ليس بالقهوة في تاباك أركاد. وليس بيدٍ ندية على يدي. وليس بهذه الكلمات الخالية من اللطافة، وهذه الجمل الزيتية، وهذه الأكاذيب الآن.

إذاً، في ذاك المساء، بعد أن قبّلني جوسلن غيربيت، متلهفاً ونافد الصبر، وبعد أن دفعته بلطف وبعد أن ابتعد واعداً بالعودة لرؤيتي في اليوم التالي، فتحتُ قلبي وتركتُ أحلامي تحلِّق.

إنني سعيدة مع جو.

لم ينسَ أي ذكرى سنوية لزواجنا. يحبُ في عطلة الأحد أن يقوم بأعمال يدوية في المرآب. يصنعُ مفروشات صغيرة نبيعها في سوق المستعمل. اشترك منذ ثلاثة أشهر في شبكة الوي في للاتصالات لأنني قررت أن أنشئ مدوَّنة (blog) حول مصنوعاتي القماشية. أحياناً، بعد أن يتناول طعامه، يقرصُ خدي قائلاً أنتِ لطيفة يا جو، أنتِ طفلة طيبة. أعرف. قد يبدو هذا لكم نوعاً من المازوشية، لكنه نابع من قلبه. هذا هو جو، لا يعرف دقّة الكلمات وخفَّتها ورهافتها حقّ المعرفة. لم يقرأ الكثير من الكتب؛ ويفضِّل المختصرات على الحجج المنطقية؛ والصور على الحكايات الطويلة. ويحب كثيراً حلقات كولومبو لأنه يعرف القاتل منذ البداية.

أما أنا فمغرمة بالكلمات. مغرمة بالجمل الطويلة، والتنهيدات المديدة. مغرمة بالكلمات عندما تُخفي أحياناً ما تقوله، أو عندما تقوله بطريقة جديدة.

عندما كنت صغيرة، كنت أكتب مذكرات. توقفتُ عن ذلك يوم موت أمي. بسقوطها أَسْقَطَتْ أيضاً قلم الحبر من يدي وتحَطَّمَتْ الكثير من الأشياء.

لذلك عندما أتناقش أنا وجو، فإنني أنا في الأخصّ مَن يتكلم. يصغي إلي وهو يشرب بيرته الرديئة؛ وحتى أحياناً يتقمص دور المعلم، كما يُقال، ليُشعرني أنه يفهم وأنه مهتمّ بحكاياتي ولو أن الحال ليس كذلك، وهذا لطف منه.

في الأربعينيات من عمري، حصل على أسبوع إجازة من المصنع، قاد الأطفال إلى منزل أمه واصطحبني إلى إيتريتا. نزلنا في فندق ليغوي كروز، وهو فندق نصف داخلي. قضينا أربعة أيام رائعة وبدا لي عندئذٍ، للمرة الأولى في حياتي، أنه عاشقٌ ولِهٌ، وكان كذلك. كنا نقوم بنزهات مديدة على الشواطئ الصخرية ونحن نمسك بأيدي بعضنا بعضاً؛ أحياناً، عندما لا يكون هناك متنزهون آخرون، كان يواريني بين الصخور، ويلثم فمي ويده المشاغبة تغرق في ملابسي الداخلية. كان يستخدم كلمات بسيطة ليصف شهوته. فخذ خنزير مجرّد من اللحم. **أنتِ توترينني**. **أنتِ تثيرينني**. وذات مساء، ساعة الشفق على جرف أفال، قلتُ له شكراً، قلتُ له ضاجعني، وضاجعني في العراء، بسرعة وقسوة، وكان ذلك ممتعاً. عندما عدنا إلى الفندق كانت وجنتانا حمراوين وفمانا جافين، كمراهقين ثملين قليلاً وكانت هذه ذكرى جميلة.

في يوم السبت، يحب جو كثيراً أن يرافق شباب المصنع. يلعبون الورق في كافيه جيورجي، يتحدثون عن خدع الرجال؛ يتكلمون عن النساء، يتبادلون أحلامهم، أحياناً يصفرون لفتيات في مثل أعمارهم لكنهن متساهلات؛ إنهم **كثيرو الكلام قليلو الفعل**، كما يقال عندنا، هؤلاء هم رجالنا.

في الصيف يذهب أطفالنا لزيارة أصدقائهم، وأنا وجو ننزل في

الميدي لثلاثة أسابيع في فيلانوف-لوبي، في مخيم سورير. نجد هناك ج.-ج. وباريل روسيل اللذين التقيا هناك، مصادفة، منذ خمس سنوات - إنهما من دنغيل، على بعد أربعة كيلومترات فقط من آراس! - وميشيل أونريون، من فيلنوف-سير-لو، عاصمة الخوخ المجفَّف، امرأة أكبر سناً منا، بقيت فتاة عانس، ذلك لأنها تمصّ أصابعها، يعلن جو، لأنها تمارس الجنس الفموي. نتناول المشروب المنعش واللحم المشوي والسردين؛ ونذهب إلى الشاطئ في كاني مقابل مضمار الخيل عندما يكون الطقس حاراً جداً، ومرة أو مرتين إلى مارينلاند، حيث الدلافين وطيور الحباري، ثم التزلج على الماء، وهناك تعلو صرخاتنا المذعورة التي تنتهي في كل مرة إلى ضحكات وإلى أفراح طفولية.

إنني سعيدة مع جو.

إنها ليست الحياة التي كانت تحلم بها كلماتي في المذكرات حين كانت أمي حية. حياتي ليست النعمة الكاملة التي كانت تتمناها لي كل مساء، عندما كانت تأتي لتجلس بجانبي على السرير؛ عندما كانت تداعب برفق شعري وهي تهمس: أنتِ موهوبة يا جو، أنتِ ذكية، ستعيشين حياة جميلة.

حتى الأمهات يكذبن. لأنهن هن أيضاً، يخَفن.

في الكتب فقط، يمكن للمرء أن يغيِّر حياته. يمكنه أن يمحو كل شيء بكلمة. أن يخفي وزن الأشياء. أن يمسح الدناءات وبعد جملة، أن يلفي نفسه فجأة في أقصى العالم.

تلعب دانييل وفرانسواز لعبة يانصيب اللوتو منذ ثمانية عشر عاماً. وكل أسبوع، مقابل عشر يوروات، تصنعان أحلاماً بقيمة عشرين مليون أورو. فيلا على شاطئ كوت دازير، جولة حول العالم. وحتى رحلة إلى توسكان. إلى جزيرة. عملية شدّ جلد. شراء ألماس، وساعات سانتوس ديمون من ليدي كارتييه. اقتناء مئة زوج من أحذية لوبوتان وجيمي شو. ارتداء طقم شانيل الزهري. التزين بلآلئ، لآلئ حقيقية مثل جاكي كينيدي، كم كانت جميلة! تنتظران نهاية الأسبوع كما ينتظر آخرون مجيء المسيح. وفي كل يوم سبت، يخفق قلباهما عندما تفقد الكرات صوابها. تحبسان أنفاسهما وتكفّان عن التنفس، وكان يمكن أن تموتا في كل مرة، تقولان ذلك معاً كأنهما كورس.

قبل اثنتي عشر عاماً، ربحتا ما مكّنهما من افتتاح كواف استيتيك. جعلتاني أحمل باقة ورد في جميع الأيام التي استغرقتها الأعمال ومع أنه ظهرت لدي حساسية مفرطة تجاه الأزهار فقد

أصبحنا صديقات منذ ذلك الوقت. تشغلان معاً الطابق الأخير من منزل يطلّ على حديقة كوفورنور، جادة فيزيلييه. كادت فرانسواز أن تُخْطَب أكثر من مرة، لكنها آثرت فكرة التخلي عن الحب على فكرة التخلي عن أختها؛ وعلى العكس، أقامت دانييل في عام 2003 مع مندوب مبيعات مستحضرات شامبو، رويال للعناية والصبغات الاحترافية، وهو شخص طويل داكن ذو صوت جهير، شعره أسود فاحم؛ شخص وافد. كانت قد استسلمت للرائحة الوحشية لبشرته الداكنة، وسحَرَها الشعر الأسود على سلاميات أصابعه الطويلة؛ كانت دانييل قد حلمت بحب شهواني، بمبارزات ومصارعة حرة حامية، بجسدين ملتحمين، ومع أنّ القرد الكبير كان لديه خصيتان ممتلئتان كما ينبغي، إلا أنه كشف عن فراغ داخلي، وعن تصحُّر تراجيدي هائل. كانت مضاجعة موفقة جداً، أسرَّتْ لي عند عودتها بعد شهر، وحقيبتها على ذراعها، مضاجعة وجودية، لكن بعد المضاجعة، لا شيء، ينام المندوب ويشخر، ثم يعود للقيام بجولاته في الفجر لتسويق منتجات الشعر، مستواه الثقافي صفر، وأنا، مهما قيل في هذا الأمر، أحتاج إلى الكلام وإلى تبادل الآراء، فأنا لست حيواناً رغم كل شيء، لا، أحتاج إلى الروح.

ذهبنا ثلاثتنا، مساء عودتها، للعشاء في كوبول، قريدس وردي فوق سرير من لآلئ النورد لي ولفرانسواز، ونقانق آراس مبروشة بجبنة ماروال لدانييل، وماذا تريدين، أنا، يُحْدِثُ الفراقُ فيَّ ثقباً، يُسبب صدعاً، ولا بد أن أمتلئ، وبعد زجاجة نبيذ تعاهدتا وهما تقهقهان ألّا تفترقان أبداً، أو إذا صادفت إحداهن رجلاً، أن تشارك الأخرى به.

ثم أرادتا الذهاب للرقص في كوباكابانا؛ قالت إحداهن قد نصادف شابين، وعلَّقت الأخرى ضاحكة، قد نصادف نمرتين جيدتين، ولم أرافقهما.

لم أعد أرقص منذ 14 تموز/ يوليو في سن الثالثة عشر، عام «الصيف الهندي» وصدري الناهد حديثاً.

اختفت الأختان التوأمان في الليل، وهما تحملان مع ضحكاتهما الطَرَقَات المبتذلة بلطف لأحذيتهما على الرصيف، وعدتُ إلى منزلي. اجتزت جادة ستراسبورغ، وارتقيتُ من جديد شارع غامبيتا حتى قصر العدل. تعبر سيارة أجرة، ترتعش يدي؛ أراني أناديها، وأستقلها. أسمعني أقول «بعيداً، أبعد ما يمكن». شاهدت التاكسي تنطلق من جديد بي إلى الخلف، أنا التي لا تلتفت، أنا التي لا تلقي التحية على نفسها، أنا التي لا تَبدر منها أي إيماءة أخيرة لنفسها، وليس بها أي ندم؛ أنا التي تغادر وتختفي ولا تترك أثراً.

سبع سنوات مضت.

لكنني عدت.

كان جو نائماً وفمه مفتوح أمام تلفزيون الراديولا؛ وخيطٌ من لعابه يلتمع على ذقنه. أطفأت التلفاز. دَثَّرْتُ جسده المتكور تماماً. وكان رومان في غرفته يعارك نفسه في عالم فرينالسي الافتراضي. ونادين في غرفتها تقرأ محاورات هيتشكوك وتريفو؛ كانت في الثالثة عشر من عمرها.

حين دفعتُ باب غرفتها رفعتْ رأسها وابتسمتْ لي ووجدْتُها جميلة، فائقة الجمال. كنت أحب عينيها الزرقاوين الواسعتين،

وأسميهما عيني السماء. أحب بشرتها الصافية التي لم يترك عليها أي مرض كدمة. شعرها أسود؛ يشكِّل طوقاً حول شحوبها الخفيف. أحب هدوءها ورائحة بشرتها. تراجعتْ إلى الجدار، ولم تقل شيئاً عندما جئت لأتمدَّد قربها. ثم مسّدتْ برفق شعري كما كانت أمي تفعل، واستأنفت قراءتها بصوت خفيض هذه المرة، كما يفعل راشد ليخفف من مخاوف طفل صغير.

مرت صحفية تعمل في **الأوبزيرفاتور دو لاراجوا** إلى حانوت الخياطة هذا الصباح. كانت تريد إجراء مقابلة معي بشأن مدوَّنتي. مدوَّنة **الأصابع الذهبية العشرة**.

إنها مدوَّنة متواضعة.

أكتب فيها كل صباح ما يتعلق بمتعة الحياكة والتطريز والخياطة. عرضتُ فيها المنسوجات والصوف؛ والأشرطة المزركشة، والمخمل، والساتان والأورغاندي؛ والدانتيلا القطنية والمطاطية؛ وشرائط ذيل الفأر، والأربطة الشمعية، والأحزمة المجدولة من الحرير الصناعي، وحبال المعطف الواقي. أتحدث فيها أحياناً عن متجر الخياطة، عن وصول بكرات أشرطة الخياطة أو شرائط أزرار الكبس. أسكب فيها أيضاً بعضاً ممّا يختلج في نفس المرأة التي تطرّز وعاملة الحياكة والمخرمات؛ وخلجات نفوس النساء اللاتي ينتظرن. نحن جميعاً ننتمي إلى ناتالي وإيزولت في فيلم **العود الأبدي**.

- لديكِ الآن أكثر من ألف ومئتي اتصال يومياً، هتفت الصحفية، ألف ومئتين فقط في التجمّع السكني.

إنها في عمر الأطفال الذي يتفاخر فيه الناس. جميلة بنمشها ولثّتها الوردية وأسنانها الناصعة البياض.

مدوَّنتك غير متوقعة. لدي ألف سؤال أطرحه عليك، لماذا كلّ يوم تتحدث ألف ومئتي امرأة عن ملابس النساء. لماذا هذا الشغف المفاجئ بالحياكة وأدوات الخياطة... اللمس. هل تعتقدين أن الناس يعانون من غياب الاتصال. ألم يقتل العالم الافتراضي الشبق والفرح. أوقفها وأقول لا أدري، لا أدري. سابقاً كنت أكتب مذكرات شخصية، واليوم أكتب في مدوَّنة. تسألني، كنت تكتبين مذكرات؟ لا، لا، لم أكن أكتب مذكرات وليس لدي أي إجابة عن أسئلتك. أنا آسفة.

عندئذٍ تضع مفكرتها وقلم الرصاص وحقيبة يدها.

تسمِّر عينيها في عيني. تضغط بيدها على يدي وتقول: تعيش أمي وحيدة منذ أكثر من عشر سنوات. تنهض في الساعة السادسة. تعدُّ القهوة. تسقي نباتاتها. تستمع إلى الأخبار في الراديو. تشرب قهوتها. تتبرج قليلاً. وبعد ساعة، في السابعة، ينتهي نهارها. منذ شهرين، حدّثتها جارتها عن مدوَّنتك وطلبت مني أن أشتري لها ماكينة-آلة، في لغتها، يعني حاسوباً. ومنذ ذلك الحين، بفضل زركشاتك، ووسائدك وأربطة ستائرك، استعادت فرح الحياة. لذلك لا تقولي لي إنه ليس لديك إجابات.

جمعت الصحفية أشياءها وهي تقول: سأعود وستكون لديك إجابات.

كانت الساعة الحادية عشر والثلث صباحاً عندما غادرت. كانت يداي ترتعشان، وكفّاي رطبتان.

عندئذٍ أغلقتُ الحانوت وعدتُ إلى منزلي.

ابتسمتُ وأنا أكتشفُ من جديد كتاباتي في المراهقة.

كانت النقط تحت حرف **الياء** دوائر وحرف الألف مكتوبة بشكل طبيعي وتحت حرف الياء في بعض الكلمات مثل فيليب دوغو فورنيه كانت النقط عبارة عن قلوب صغيرة جداً. فيليب دوغو فورنيه. أتذكره. كان مثقف الصف؛ والأكثر إثارة للسخرية أيضاً. كانوا يسخرون منه بسبب ولعه بالذرّة. وكانوا يسمونه **الذرة**. كنتُ مغرمة جداً به. كنت أجده مغرياً ولا ريب بوشاحه الذي يلفه لفتين على عنقه ويتدلى حتى خصره. حين كان يروي شيئاً ما، كان يتحدث بصيغة الماضي البسيط(*) وكانت موسيقى تصريفه تسحرني. كان يقول إنه سيصبح كاتباً. أو شاعراً. وأنه سيكتب أغاني وأنه سيجعل قلوب الفتيات تخفق في جميع الأحوال. كان الجميع يضحكون. إلا أنا.

لكنني لم أتجرأ قط على الاقتراب لمخاطبته.

أقلب صفحات مذكراتي. بطاقات سينما ملصقة. صورة تعميدي

(*) صيغة الماضي البسيط: هي صيغة تستخدم في الكتابة ونادراً في الحديث اليومي.

في الهواء الطلق في آمين-غليزي عام 1970، برفقة أبي، وأنا في السابعة من عمري. لم يعد يتذكر ذلك. منذ الحادث الذي أصابه، بات يعيش في الحاضر. لا ماضٍ لديه ولا مستقبل. يعيش في حاضر يدوم ست دقائق وكل ست دقائق يعود كمبيوتر ذاكرته إلى نقطة البداية، إلى الصفر. كل ست دقائق يسألني عن اسمي. كل ست دقائق يسألني في أي يوم نحن. وكل ست دقائق يسألني إن كانت أمي ستأتي.

وبعد ذلك أجد هذه الجملة مكتوبة بحبر الفتيات البنفسجي، في نهاية مذكراتي تقريباً، مكتوبة قبل أن تنهار أمي على الرصيف.

أتمنى لو أحظى بفرصة أن أقرر حياتي، أعتقد أن هذه أعظم هدية يمكن أن توهب لنا.

أن يقرر المرء حياته.

أغلق المذكرات من جديد. إنني كبيرة اليوم ولذلك لا أبكي. عمري سبعة وأربعون عاماً، ولدي زوج وفيّ ولطيف وقنوع؛ ولدي طفلان كبيران وروح متواضعة أفتقدها أحياناً؛ ولدي متجر بات يدرّ علينا، بعد احتساب عائدات السنوات الجيدة والسنوات الرديئة، دخلاً أعلى من أجر جو، بما يكفل لنا أن نمضي حياة جميلة وإجازات صيفية ممتعة في فيلانوف-لوبيه ولم لا، قد يتيسر لنا ذات يوم أن نحقق حلمه باقتناء سيارة (شاهدتُ تنزيلاً بدا لي جيداً جداً إلى ستة وثلاثين ألف أورو). أكتب في مدوَّنة تمنح الفرح لوالدة صحفية **الأوبزيرفاتور دولاراغوا**، وعلى الأرجح لألف وتسعمئة وتسع وتسعين سيدة أخرى كل يوم. ونظراً إلى الأرقام الجيدة، اقترح عليّ ضيف منذ فترة وجيزة أن أبيع فيه مساحة إعلانية.

يجعلني جو سعيدة ولم تراودني قط الرغبة برجل آخر غيره، لكن القول بأنني قرَّرت حياتي، فهذا لا.

أثناء عودتي إلى حانوت الخياطة، أجتاز ساحة هيرو وعندها أسمع صيحة باسمي. كانت الأختان التوأمان. كانتا تشربان قهوة وهما تلعبان اللوتو. توسَّلت إليَّ فرانسواز، العبي لمرة واحدة، لن تبقي بائعة حانوت خياطة طوال حياتك. فأقول لها إنني أحب حبّاً جماً حانوت الخياطة. تزاود دانييل، أليس لديك رغبة في شيء آخر؟ هيا من فضلك. عندئذٍ أتوجه إلى بائع التبغ وأطلب بطاقة. أيها تريدين؟ أي ماذا؟ تريدين اللوتو لوتو أم لوتو الأورو مليون؟ لا أعرف شيئاً عن ذلك، إذاً الأورو مليون، فثمة عمولة جيدة يوم الجمعة. أعطيه الاثني أورو التي طلبها. تختار الآلة أرقاماً ونجوماً لأجلي ثم تمدّ لي ببطاقة. فتصفق الأختان التوأمان.

أخيراً! أخيراً ستنسج صغيرتنا جو أحلاماً جميلة هذه الليلة.

نمت نوماً سيئاً جداً.

كان جو مريضاً طوال الليل. يعاني من الإسهال والإقياء. وكان يشكو منذ عدة أيام، هو الذي لم يشكُ قط، من تشنجات. كان يرتعش بلا انقطاع - وهذا ليس بسبب كماداتي الرطبة على جبينه المشتعل ولا بسبب تدليكي لصدره لتهدئة سعاله، وأكثر من ذلك ليس بسبب دندنتي لتعويذات أمي الرقمية من أجل طمأنته.

جاء الطبيب.

إنها على الأرجح إنفلونزا الخنازير H1N1، وسببها القذارة القاتلة. مع ذلك، يطبّقون في المصنع جميع تعليمات الأمان. يرتدون كمامات FFP2، يستخدمون معقمات كحولية، وهناك تهوية نظامية للورشات، المصافحة ممنوعة، القُبَل ممنوعة، وكان جو يضيف ضاحكاً منذ يومين قبل أن يسقط تحت وطأة هذا المرض، واللواطة ممنوعة. وصف له الدكتور كارون الأوزيلتاميغير (الشهير بتامفلو) والراحة التامة. سيكلف هذا ثمانية وعشرين أورو يا مدام غيربيت. نام جو في الصباح. ومع أنه فقد شهيته، ذهبتُ أبحث له عن قطعتي كرواسان بالزبدة عند فرانسوا تيري، الكرواسان المفضل لديه، وحَضَّرْتُ له ترمس القهوة ووضعته على طاولة سريره في

متناول يده. نظرتُ إليه وهو نائم لبرهة وجيزة. كان يتنفس بصخب. كانت لآلئ من العرق تتولد عند صدغيه وتنزلق على خديه وتتقدم بصمت لتنفجر وتموت على صدره. شاهدتُ تجاعيد جديدة على جبينه، وتغضنات صغيرة حول فمه، كعروق صغيرة جداً، وتهدلات بشرته التي بدأت تتراخى في العنق، هناك حيث كان يحب أن أقبله في البداية. شاهدتُ هذه السنوات على وجهه، شاهدتُ الزمن الذي يُبعدنا عن أحلامنا ويقرِّبنا من الصمت. وجدتُ جو عندئذٍ جميلاً وهو يرقد في إغفاءة طفل مريض، وأحببتُ ريائي. خطر لي أنه لو ظهر هنا والآن أجمل رجل في العالم، وأكثرهم أناقة، وأكثرهم في كل شيء، لما نهضتُ ولما تبعته وحتى لما ابتسمت له.

لبقيتُ هنا في مكاني لأن جو يحتاجني والمرأة تحتاج إلى أن يحتاجها أحد ما.

أجمل مَن في العالم لا يحتاج إلى شيء ما دام لديه كل العالم. لديه جماله؛ ولديه الجوع الذي لا يقاوم لكل اللاتي يرغبن أن يتغذين منه وسينتهين إلى افتراسه وتركه ميتاً، وقد مصصن عظامه اللامعة والبيضاء جيداً في حفرة زهوهن.

بعد ذلك، دعوتُ فرانسواز. ألصقتُ إعلاناً صغيراً على الواجهة الزجاجية لحانوت الخياطة. **مغلقٌ ليومين بسبب الإنفلونزا.** ثم حَدَّثْتُ المعلومات على مدوَّنتي.

وخلال ساعة تلقيتُ مئة إيميل.

كانوا يقترحون علي إدارة الحانوت إلى حين أن يتعافى زوجي. كانوا يطلبون مقاس جو ليحيكوا له كنزات وقفازات وقلنسوات. كانوا يسألونني إن كنت بحاجة إلى مساعدة، إلى أغطية؛ أو بحاجة

إلى حضور صديقة من أجل الطبخ وترتيب المنزل، إلى النقاش، وإلى مواجهة هذه اللحظة العصيبة. كان هذا لا يصدّق. لقد فتحَت مدوَّنة **الأصابع الذهبية العشرة** بوابات اللطف المدفون والمنسي. وخلقتْ حكاياتي عن الأحزمة والشرائط وحبل الحلواني، على ما يبدو، رابطة قوية جداً؛ طائفة غير مرئية من النسوة اللواتي، بعد أن اكتشفن من جديد متعة الخياطة، استبدلن قضاء الأيام وحيدات بفرحة أن يشكّلن فجأة عائلة.

طُرِقَ الباب.

كانت امرأة من الحي، غصنٌ صغير رائع في شجرة يابسة، مثلما كانت الممثلة مادلين ريغو. كانت تحمل معكرونة عريضة. سَعَلْتُ. كانت العناية الفائقة غير المتوقعة تخنقني. لم أعتدْ أن يعطيني أحد شيئاً دون أن أطلبه. لم أستطع الكلام. فابتسمتُ بمنتهى اللطف. معكرونة عريضة بالسبانخ والجبنة الطازجة. نشويات وحديد. أنتِ تحتاجين إلى مقويات من أجل جو. تمتمتُ بكلمات شكر وانبجست دموعي. دون توقف.

مضيتُ لرؤية والدي.

بعد أن سألني مَن أكون، التمس أخبار أمي. قلتُ له إنها تتسوق وإنها ستتأخر قليلاً في المجيء. فقال إنه يأمل أن تجلب له صحيفته ورغوة الحلاقة، لأنها نفدت من عنده.

حَدَّثْتُه عن حانوت الخياطة. وسألني للمرة المئة إن كنتُ أنا المعلمة. لم يكن يملّ من تكرار ذلك. كان مزهواً. **حانوت جو للخياطة**، منزل بيلارد سابقاً، **حانوت جو للخياطة**، اسمك على لافتة الحانوت يا جو، تخيلي! إنني سعيد لأجلك. ثم رفع رأسه من جديد ونظر إلي. من أنتِ؟

من أنتِ؟ كانت ست دقائق قد انقضت.

كان جو يتحسّن. فالأوزولتاميفير والراحة والمعكرونة العريضة بالسبانخ والجبنة الطازجة وتعويذاتي الرقمية اللطيفة سيتغلبون على الإنفلونزا القاتلة. بقي بضعة أيام في المنزل وأنجز القليل من الإصلاحات، وعندما فتح ذات مساء علبة تورتيل وأشعل التلفاز، عرفتُ أنه تعافى تماماً. واستأنفت الحياة مجراها، هادئة ووديعة.

في الأيام التالية لم يفرغ حانوت الخياطة من الزبائن وأحصى **الأصابع الذهبية العشرة** أكثر من خمسة آلاف زيارة يومياً. ولأول

مرة منذ عشرين عاماً، انقطعت من مخزني أزرار الكازين والكوروزو والغالايث، وانقطعت دانتيلا الخيوط، والتخاريم الزخرفية الكبيرة، والمطبوعات القماشية والحروف الهجائية كما انقطعت الشرابات. أي ما كان شرابات ما دمت لم أبع منها أي واحدة منذ عام. راودني انطباع أنني في قلب فيلم **العاطفي** لفرانك كابرا(*) ويمكنني أن أقول لكم أحياناً أن **العاطفي** رائع جداً.

حين انقضت الصدمة، حزمنا أنا ودانييل وفرانسواز صرات من الأغطية والكنزات والوسائد المزركشة التي قُدِّمَتْ إلى جو، وتكفلت دانييل بإعطائها لجمعية خيرية في أسقفية آراس.

لكن الحدث الأهم في هذه الفترة من حياتنا، الحدث الذي جعل الأختين التوأمين هستيريتين منذ يومين، هو أن البطاقة الرابحة في الأورو مليون تأكّد أنها في آراس. صرختا، آراس، تباً، في دبرنا، قد نكون نحن! ثمانية عشر مليون أورو، حسن حسن، هذا ربح صغير مقارنة بخمسة وسبعين مليون أورو في فرانكوفيل، لكن ثمانية عشر مليوناً هو مبلغ كبير رغم كل شيء، ثمانية عشر مليوناً! آه، هذا يُحْدِثُ لي دبراً ثانياً!

(*) فرانك راسل كابرا (18 أيار/ مايو 1897 - 3 أيلول/ سبتمبر 1991) مخرج أفلام أمريكي ولد في صقلية، كان من أشهر المخرجين الأميركيين في الثلاثينيات والأربعينيات، فاز بثلاثة جوائز أوسكار لأفضل مخرج، وكان فيلمه حدث ذلك في ليلة واحدة هو الفيلم الأول الذي يفوز بخمس جوائز أوسكار رئيسة، أخرج كابرا الكثير من الأفلام الناجحة طوال مسيرته الإخراجية منها السيد سميث يذهب إلى واشنطن والسيد ديدز يذهب إلى البلدة وإنها حياة رائعة.

وما كان يجعلهن أكثر حماساً أيضاً، وعملياً على حافة السكتة الدماغية، هو أن الرابح لم ينكشف بعد.

ولم يبق سوى أربعة أيام قبل أن يفقد الرابح حقه بالمبلغ ويُستأنف اللعب.

لا أدري كيف، لكنني عرفتُ.

عرفتُ، حتى دون أن أرى الأرقام، أنني أنا الرابحة.

احتمال من ستة وسبعين مليون احتمال، ووقع هذا الاحتمال علي. قرأتُ الإطار في جريدة فوادونورد. كان كل شيء فيه.

6 و7 و24 و30 و32 وأرقام النجوم 4 و5.

البطاقة مباعة في آراس، في ساحة هيرو. رهان باثنين أورو. نظام الفلاش.

18,574,301 أورو و28 سنتيماً.

عندئذٍ شعرتُ بوعكة.

وجدتُ نفسي على الأرض، في المطبخ - كما وجدتُ أمي على الرصيف منذ ثلاثين عاماً.

كنا ذاهبتين للتسوق سوية حين اكتشفتُ أنني نسيتُ اللائحة على طاولة المطبخ. صعدتُ من جديد، وبقيت أمي تنتظر على الرصيف.

عندما نزلتُ، وفي اللحظة ذاتها التي خرجتُ فيها إلى الطريق، رأيتها تنظر إليّ، فاغرة فمها، لكن دون أن تند عنها أي صرخة؛ وجهها يتلوى، وقد ارتسمت عليه التكشيرة ذاتها للشخص المرعب في لوحة **الصرخة**(*) لمونشي، وانهارتْ على نفسها بطريقة الأوكورديون. كانت أربع ثوانٍ كافية لأصبح يتيمة، كنتُ قد أسرعتُ، لكن فات الأوان.

يسرع المرء، لكنه يتأخر دوماً عندما يموت شخص. كأنها مصادفة.

(*) **الصرخة** (بالنرويجية Skrik): هي مجموعة أعمال لوحات تعبيرية قام بإنجازها الرسام النرويجي إدفارت مونك مصوراً شخصية معذبة أمام سماء حمراء دموية عام 1893. المعالم الظاهرة في خلفية اللوحة هي من خليج أوسلفورد في أوسلو جنوب شرق النرويج.

ندتْ عدة صرخات، وزعيق مكابح. كان يبدو أن الكلمات تسيل من فمي، كما الدموع؛ كانوا يخنقونني.

ثم ظهرت البقعة على ثوبها، بين ساقيها. وكبرت حتى أصبحت بادية للعيان، كورم مخجل. شعرتُ على الفور برفرفة جناح باردة في حلقي، وبخدش حارق؛ عندئذٍ، بعد صورة الشخص في اللوحة، وبعد صورة أمي، فَغَرَ فمي بدوره ومن بين شفتي الغريبتين طار عصفور. وما إن أصبح في الهواء الطلق، حتى أطلق صرخة رهيبة، تغريدته مرعبة.

تغريدة الموت.

ذُعِرَ جو. ظنّ أن ذلك بسبب الأنفلونزا المجرمة. أراد أن يستدعي لي الطبيب كارون، لكنني تمالكتُ نفسي وطمأنته. ليس بي شيء، لم يكن لدي الوقت لتناول الغداء، ساعِدْني على النهوض، سأجلس خمس دقائق وسيكون الأمر على ما يرام. يقول ويده على جبيني، أنتِ ساخنة جداً. قلتُ لك إنني بخير، وفوق ذلك أنا في فترة الحيض، لذلك أنا ساخنة.

الحيض. إنها الكلمة السحرية التي تبعد معظم الرجال.

سأسخِّن لك شيئاً ما، اقترح وهو يفتح البراد، إلا إذا كنت تريدين أن تطلبي بيتزا. ابتسمتُ. وهمستُ، حبيبي جو. حبيبي اللطيف. ربما يمكننا هذه المرة تناول الطعام في الخارج. ابتسمَ، والتقط علبة تورتيل. سأرتدي سترتي يا جميلتي، وسأكون طوع أمرك.

تناولنا العشاء في مطعم فيتنامي على بعد شارعين من منزلنا. لم يكن يوجد أحد عملياً وتساءلتُ كيف يتصرفون ليستمروا! طلبتُ

حساءً خفيفاً بمعكرونة (بان تان)، وطلب جو سمكاً مقلياً (شاكا) واحتضنتُ يده بيدي، كما في أيام خطوبتنا، منذ عشرين عاماً. لديكِ عينان براقتان، همس بابتسامة حنين.

ولو أمكنكَ أن تسمعَ خفقات قلبي، فَكَّرْتُ، لخشيْتَ أن ينفجر.

وصلتْ الأطباق بسرعة؛ وبالكاد تذوقتُ حسائي. حزنَ جو. هل الحساء غير لذيذ؟ خفضتُ بصري بعذوبة.

عليَّ أن أبوح لك بأمر يا جو.

لا بد أنه شعر بأهمية بَوْحي. وضعَ الخبز. ومسحَ شفتيه بلطف بواسطة منشفة قطنية - كان يبذل دوماً ما بوسعه في المطعم - واحتضن يدي. كانت شفتاه الجافتان ترتعشان. لا شيء خطير، طمئنيني؟ ألستِ مريضة يا جو؟ لأنه. . . لأنه لو حدث لك مكروه، فسيكون ذلك نهاية العالم، وأنا. . . اغرورقت عيناي بالدموع وفي الوقت نفسه أخذتُ أضحك، ضحكاً متواصلاً، يشبه السعادة. سأموت من دونكِ يا جو. لا يا جو، لا، لا شيء خطير، لا تقلق، هَمَسْتُ.

كنتُ أريدُ أن أقولَ لكَ أحبك.

وأقسم أن أي مبلغ من المال لن يعادل أبداً فقدان كل هذا.

مارسنا الحب بمنتهى اللطف في تلك الليلة.

هل كان ذلك بسبب شحوبي، وهشاشتي الجديدة؟ هل كان بسبب خوفه غير المنطقي من فقداني الذي تملَّكه قبل ساعات في المطعم؟ هل كان ذلك لأننا لم نعد نمارس الحب منذ زمن طويل، لأنه احتاج إلى زمن ليتعلم من جديد جغرافيا الرغبة، وليتزود ثانية بخشونة الرجال؟ هل كان ذلك لأنه يحبني إلى درجة أن يضع لذتي أبعد من لذته؟

في تلك الليلة، لم أعرف ذلك. اليوم أعرفه. لكن يشهد الله أنها كانت ليلة جميلة.

ذكرتني بليالي العشاق الأولى، تلك الليالي التي يقْبَلون فيها الموت فجراً؛ تلك الليالي التي لا تبالي بشيء آخر غير ذاتها، بعيداً عن العالم وعن الضجيج وعن الخبث. وبعد ذلك، مع الزمن، يمر بها الضجيج والخبث وتصبح اليقظة صعبة، وزوال الوهم معذباً. بعد الرغبة يأتي دوماً الملل. ولا يوجد إلا الحب للتغلب على الملل. الحب، بحرف بداية كبير؛ حُلْمُنا جميعاً.

أذكر أنني بكيتُ عند الانتهاء من قراءة **حسناء السنيور**(*).

(*) **حسناء السينيور**: هي رواية للكاتب السويسري ألبرت كوهين نُشرت باللغة =

وحتى غضبتُ عندما ألقى العاشقان بنفسيهما من نافذة ريتز في جنيف. وأنا نفسي ألقيتُ الكتاب في سلة المهملات، وخلال سقوطه القصير، جرفَ معه حرف البداية الكبير لكلمة الحب.

لكن في هذه الليلة، بدا لي أن حرف البداية الكبير لكلمة الحب قد عاد.

عندما انبلج الفجر، اختفى جو. كان يتبع تدريباً منذ شهر، من الساعة السابعة والنصف حتى التاسعة من كل صباح، لكي يصبح مساعد رئيس عمال ويقترب من أحلامه.

لكنني أستطيع من الآن فصاعداً أن أحقق لك أحلامك يا حبيبي، فأحلامك ليست مكلفة كثيراً. شاشة سوني مسطحة قياس 52 بوصة بألف وأربعمئة أورو. وساعة سايكو بأربعمئة أورو. ومدفأة في الصالون بخمسمئة أورو، إضافة إلى ألف وخمسمئة أورو لأعمالك. وسيارة بورش كايين بتسعة وثمانين ألف أورو. ومجموعتك الكاملة من جيمس بوند، عبارة عن اثنين وعشرين فيلماً بمئة وسبعين أورو.

هذا فظيع. أفكر كيفما اتفق.

ما يحدث لي مخيف.

= الفرنسية في عام 1968، وتعتبر واحدة من الروايات العظيمة في القرن العشرين باللغة الفرنسية، لدرجة أنها سمِّيت بالتحفة المطلقة.

لدي موعد في المؤسسة الفرنسية للألعاب في بولونيا - بيلانكور، في الإقليم الباريسي.

استقليتُ القطار باكراً هذا الصباح. قلتُ لجو إن هناك مورِّدين يجب أن أراهم: سينيكستيل وأوروتسيل وفيلاجيل ساباران. سأعود متأخرة، فلا تنتظرني. يوجد صدر دجاجة في البراد ويخنة للتسخين.

رافقني حتى المحطة، ثم هرع إلى المصنع ليكون في الموعد المحدد لتدريبه.

أفكرُ في القطار بأحلام الأختين التوأمين، وبخيباتهما مساء كل يوم جمعة، عندما تسقط الكرات وتحمل أرقاماً أخرى غير أرقامهما المأمولة، أرقامهما المنصورة، الموزونة والمرجحة.

أفكر في طائفتي في مدوَّنة **الأصابع الذهبية العشرة**، هؤلاء الخمسة آلاف أميرة أورور(*) اللاتي يحلمن أن تخزّ أصابعهن إبرة دولاب مغزل حتى توقظهن قُبْلَة.

(*) الأميرة أورور: هي شخصية خيالية مستوحاة من حكاية **حسناء الغابة النائمة** لشارل بيرو والأخوين جريم.

في الحكاية الأصلية التي تشكِّل موضوع «الحسناء النائمة في الغابة» تُروى لنا المأساة التي حلَّت بالأميرة الفتية يوم عيد عمادها، حين دعيت الجنيات =

أفكر في حلقات الدقائق الست عند والدي. في تفاهة الأشياء. فيما لا تصلحه النقود البتة.

أفكر في كل ما لم تحظَ به أمي، وفي كل ما كانت تحلم به، وفي كل ما كان يمكن أن أقدمه لها من الآن فصاعداً؛ رحلة إلى نهر النيل، سترة سان لوران، حقيبة كيلي، خادمة مياومة، تاج سن من السيراميك بدل التاج الذهبي المرعب الذي يثلم ابتسامتها العجيبة، شقة في شارع نيتورييه، سهرة في باريس، في مولان روج ومولارد، ووجبة ملك المحار، وأخيراً الأحفاد. كانت تقول «الجدات هن أفضل الأمهات، الجدة تتقن عملها كأم أكثر من كونها امرأة».

= الاثنتي عشرة لمباركتها فجئن وفعلن ذلك تباعاً، ولكن سرعان ما تبين أن الداعين كانوا قد نسوا دعوة الجنية الثالثة عشرة، فأتت هذه من تلقائها ولكن ليس لتبارك الأميرة، بل لتقتلها انتقاماً. وهكذا ما إن دنت منها حتى ثقبت قبضتها بسمٍّ أماتها. ولكن لحسن الحظ كانت هناك جنية طيبة لم تتفوه بعد بالمباركة، فدنت من الأميرة الصبية لتدعو لها بأنها بدلاً من موت، لم يعد في الإمكان إلغاء كل مفاعيله، بأن تغرق، فقط، في سبات عميق يشاركها فيه أهل البلاد جميعاً ويدوم مئة عام تنتهي بمجيء الأمير الفاتن الذي ستكون يقظتها على يديه، أو بالأحرى بقبلة منه. ونعرف أن الحكاية التي كتبها الأخوين غريم تنتهي ها هنا، أمّا نص شارل بيرو فإنه يزيد حكاية الغولة التي تريد أن تفترس ولدي الملكة الجديدة، واسمهما «أورور» و«جور» (أي «فجر» و«نهار»). وفي مطلق الأحوال، من الواضح هنا أن ثمة ذلك التشابه بين جوهر هذه الحكاية، وحكاية برونهيلدي التي لن تستيقظ بدورها إلا بفضل قبلة زيغفريد. وهذا التشابه وتكرُّر وجود الحكاية نفسها في الكثير من أساطير وحكايات شعوب مختلفة، دفعا الخبراء إلى الاعتقاد بأنّ كلّ هذه الحكاية إنما هي نوع من الإسقاط لأسطورة الشمس القديمة جداً، حيث إن «الحسناء النائمة في الغابة» إنما ترمز هي وولداها إلى مسألة تعاقب الفصول.

أشتاقُ إلى أمي كما كانت يوم سقوطها. أشعر دوماً بالبرد حولها. أبكي دوماً. لمن يجب أن أعطي ثمانية عشر مليوناً وخمسمئة وسبعة وثمانين ألفاً وثلاثمئة وواحد أورو وثمانية وعشرين سنتيماً حتى تعود؟

أفكر في نفسي، وفي كل ما سيكون متاحاً لي الآن ولا أرغب بشيء. ولا حتى ذهب العالم كله يمكن أن يقدم شيئاً. لكن هل هذه هي حالة كل الناس؟

المضيفة ساحرة.

آه! أنتِ هي صاحبة بطاقة آراس. تجعلني أنتظر في صالة صغيرة، تعرض علي القراءة، وتقترح أن أشرب شاياً أو قهوة؛ أقول شكراً، شربتُ القهوة ثلاث مرات منذ هذا الصباح وأشعرُ على الفور أنني حمقاء وحتى ريفية؛ في غاية البلاهة. بعد فترة وجيزة، تعودُ للبحث عني وتقودني إلى مكتب شخص يُدعى هيرفي مونييه الذي يستقبلني بذراعين مفتوحين، آه، جعلتنا نتفصد عرقاً بارداً، يقول ضاحكاً، لكن ها أنتِ هنا أخيراً، هذا هو المهم. تفضلي بالجلوس أرجوكِ. خذي راحتك. أنتِ هنا الآن في منزلك. منزلي هو مكتب فسيح؛ مفروش بموكيت سميك، أسحبُ خفيةً قدميَّ خارج حذائي ذي النعل المسطح لكي أداعبه، وأغرسهما فيه قليلاً؛ مكيفٌ لطيفٌ يبث هواءً عليلاً، وبعد النوافذ، ثمة شقق أخرى مكتبية. كأنها لوحات كبيرة، لوحات هوبر(*) بالأبيض والأسود.

(*) إدوارد هوبر (1882-1967): هو رسام ونحات ومصور وفنان أميركي. يُعتبر واحداً من ممثلي المذهب الطبيعي. تنبّه بشكل خاص لتطور المجتمع =

هنا نقطة انطلاق حيوات جديدة. هنا، مقابل هيرفي مونييه، يكتشف الناس الجرعة السحرية. هنا يتلقون التعويذة التي تغيِّر حياتهم.

الكأس(*).

الشيك.

= الأميركي وأعماله تتناول بورتريهات الطبقة الوسطى من خلال المناظر الطبيعية الريفية والحضرية، وغالباً ما تكون شخصياته وحيدة ومكتئبة.

(*) يتلقون الكأس graal. كان هناك في القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر طبقة من رواة القصة المحترفين الذين يقومون بتسلية الملوك والنبلاء بمستودع من الروايات الرومانسية عن أرثر وفرسانه وقال الشاعر النورماندي ويس Wace سنة 1155م «إن البريطانيين في أيامه رووا روايات كثيرة عن المائدة المستديرة». وفي تلك الفترة روى هؤلاء وكتبوا العديد من الروايات الأسطورية التي تتحدث عن الجريل The Holy Grail، وذلك بأشكال وصيغ مختلفة، كإناء vessel أو كوب Cup أو طبق Plate واسع وعميق إلى حد ما أو صحن أو صينية أو ككأس Chalice، وقالوا أنه كان لها أو له قوة إعجازية كبيرة، ومن أشهر هذه الروايات الأسطورية وأهمها أسطورة الكأس Chalice التي استخدمها يوسف الرامي لحفظ الدم الذي سال من جسد المسيح. والتي تقول أن هذه الجريل هي نفسها الكأس الذي استخدمها يوسف الرامي ليجمع فيها دم المسيح الذي سال من جسده على الصليب. ارتبطت أساطير الجريل The Grail بأساطير الملك أرثر وفرسانه الذين لُقِّبُوا بفرسان المائدة المستديرة، وقد دار جزء كبير من عملهم واهتمامهم وبحثهم عن الكأس المقدسة The Holy Grail، وانتشرت هذه الأساطير فيما بين نهاية القرن الثاني عشر ومنتصف القرن الثالث عشر، وتحديداً فيما بين 1180 - 1240م، أي على مدى حوالي مئة سنة، في أوروبا الغربية، وكان أكثرها في فرنسا وذلك إلى جانب نسخ معدلة أو مترجمة في الألمانية والإنجليزية والنرويجية والإيطالية والبرتغالية، وأغلبها كانت مجرد انعكاس للأسطورة الفرنسية.

الشيك باسمكم. باسم جوسلين غيربيت. شيك بـ 18,547,301 أورو و28 سنتيماً.

يطلب مني البطاقة، وأيضاً بطاقة الهوية. يدقِّق. يُجري اتصالاً مختصراً. سيكون الشيك جاهزاً خلال دقيقتين، هل ترغبين بالقهوة؟ لدينا جميع أنواع النيسبريسو. هذه المرة، لا أجيب. كما تشاء. أنا شخصياً مدمن على الليفانتو، بسبب مذاقها السلس والحلو واللذيذ، أوه، وبانتظارها، يستطرد، أودّ أن أعرِّفك بزميل. في الواقع يجب عليكِ مقابلته.

إنه مرشد نفسي. لم أكن أعرف أن الحصول على ثمانية عشر مليوناً هو مرض، لكنني أمتنع عن أي تعليق.

المرشد النفسي هو مرشدة نفسية. تشبه إيمانويل بيار؛ مثلها، لها شفتا ديزي ديك (Daisy Duck)، شفتان منفوختان، كما يقول زوجي جو، لدرجة أنهما قد تنفجران إذا عضهما أحد. ترتدي سترة وتنورة سوداوين يبرزان قوامها (كما في **الجراحة**)، تمد لي يداً عظمية وتقول لي إن الأمر لن يستغرق طويلاً. يلزمها أربعين دقيقة لتشرح لي أن ما حصل معي هو حظّ عظيم وسعادة غامرة. إنني غنية. بوسعي أن أقدِّم الهدايا. لكن انتبهي. عليَّ أن أتوخى الحذر. لأنكِ عندما تملكين المال، يحبك الناس فجأة. يحبك أشخاص مجهولون فجأة. سيطلبون منك الزواج. وسيُرسلون لك قصائد. رسائل حب. ورسائل كراهية. سيطلبون منك المال لعلاج فتاة مصابة باللوكيميا تدعى مثلك جوسلين. سيرسلون لك صور كلب معذّب ويسألونك أن تكوني إشبينته ومنقذته؛ وسيأملون منك منزلاً له باسمك، وكبباً محشوة وفطيرة ومعونة مالية كلبية. أمٌّ مصابة بتقلص

عضلي سترسل لك فيديو مؤثر ستشاهدين فيه سقطتها الصغيرة على الدرج، وارتطام رأسها بالجدار وستطلب منك نقوداً لتركيب مصعد في المنزل. وأخرى سترسل لك صوراً لأمها وهي تأكل بقذارة وتتغوط في ملابسها، وستطلب منك بكلمات مملوءة بالدموع والألم ما يكفل مساعدتها على دفع إعانة الخادمة، وحتى سترسل لك الوصفة كي تستطيعين حسم الإعانة من الضرائب. ستكتشف غيربيت من بوانت آبيتر أنها ابنة خالتك وستطلب منك ثمن التذكرة لتأتي لرؤيتك، ثم نقوداً للقاء صديقها الطبيب الدجال الذي سيجعلك تفقدين الوزن الزائد. عدا عن المصرفي. كل الحلاوة والطلاوة فجأة في كلماته. مدام غيربيت من هنا، غيربيت من هناك. لدي توظيفات غير خاضعة للضريبة. استثمري في المقاطعات الفرنسية وراء البحار. قانون مالرو. قانون سولييه. في الذهب والحجر والأحجار النفيسة، لن يحدثونك عن الضرائب. عن ضريبة التكافل على الثروة. عن الرقابة المالية. ولا عن نفقاتها.

أفهم عن أي مرض تتحدث المرشدة النفسية. إنه مرض أولئك الذين لم يربحوا، إنها مخاوفهم الشخصية التي يحاولون حقني بها، كلقاح ضدّ مرض. أحتجّ. هناك أشخاص نجوا رغم كل شيء. لم أربح سوى ثمانية عشر مليوناً. وماذا عن أولئك الذين ربحوا مئة، خمسمئة، وحتى ثلاثين مليوناً؟ بالضبط، تجيبني المرشدة النفسية بهيئة جادة، بالضبط. إذاً، الآن فقط، أقبل القهوة. أعتقد ليفاتو، أو ربما ليفاتينو، السَلِسَلة على أي حال. بالسكَّر، شكراً. تقول لي هناك الكثير من المنتحرين، والكثير الكثير من حالات الاكتئاب والطلاق والكراهية والمآسي. شاهدتُ طعنات سكاكين. وجراحاً

بواسطة تفاحة الدوش. وحروقاً بفرن الغاز. وعائلات ممزقة ومنهارة. شاهدت كنّات مخادعات، وأصهراً كحوليين. وهناك عقود للتخلص من شخص ما؛ أجل، كما في الأفلام الرديئة. عمي والد زوجي وعد بألف وخمسمئة أورو لمن يخلِّصه من زوجته. كانت قد ربحت نحو سبعين ألف أورو. أحد الأصهر قطع سلاميتين من يده ليحصل على رمز بطاقة زرقاء. تواقيع مزوّرة وخطوط مزورة. المال يسبب الجنون يا سيدة غيربيت، إنه أساس أربع جرائم من كل خمس. وسببُ حالة اكتئاب من كل اثنتين. ليس لدي نصيحة أقدمها لك، استخْلَصَتْ، فقط هذه المعلومات. لدينا خلية دعم نفسي إن رغبتِ بذلك. تضعُ فنجان قهوتها الذي لم تتبلل شفتاها الديزيديكيان بمحتواه. هل أخبرتِ أقربائك بالأمر؟ أجيب لا. تقول يمكننا مساعدتك على إخبارهم، وإيجاد الكلمات المناسبة لتخفيف الصدمة، لأن ذلك سيكون صدمة، سترين. هل لديكِ أطفال؟ أومئُ بالإيجاب. حسناً، لن يعودوا يروك كأم فقط، وإنما كأم غنية وسيرغبون بالحصول على نصيبهم. وزوجكِ، ربما لديه عمل متواضع، إذاً سيرغب بالتوقف عن العمل، والاهتمام بثروتكما، وأقول عمداً ثروتكما لأنها ستكون بعد الآن له كما لكِ ما دام يحبكِ، آه أجل، سيقول لكِ في الأيام والأشهر القادمة إنه يحبكِ، وسيقدِّم لك الأزهار، فأقاطعها، لدي حساسية شديدة منها... بل الشوكولا، وتتابع، أنا، لا أدري، على كل حال سيدلِّلكِ، سينومكِ مغناطيسياً، سيضجركِ، هذا السيناريو مكتوبٌ سلفاً يا مدام غيربيت، مكتوبٌ منذ زمن طويل جداً، الطمع يُشعل كل شيء في طريقه؛ تذكري مسلسل بورجيا التلفزيوني، والأغنيلي، والأحدث البيتنكور.

ثم تجعلني أؤكد أنني فهمت جيداً كل ما قالت. تمدّ لي ببطاقة زيارة صغيرة عليها أربعة أرقام طوارئ، لا ترددي في الاتصال بنا يا مدام غيربيت، ولا تنسي، سيحبك الناس بعد الآن لشيء آخر غير نفسك. ثم تصطحبني إلى هيرفي مونييه.

الذي يبتسم بكل أسنانه.

تذكرني أسنانه بأسنان بائع السيارات الذي باعنا أنا وجو سيارتنا الأولى في التنزيلات، سيارة فورد إيسكور زرقاء طراز 1983، وذلك في يوم أحد من شهر آذار/ مارس في مرآب ليكليرك، كانت السماء تمطر.

قال: شيكّك. هو ذا. ثمانية عشر مليوناً وخمسمئة وسبعة وثمانين ألفاً وثلاثمئة وواحد أورو وثمانية وعشرين سنتيماً، فَصَّلَ بهدوء كمن ينطق بحُكم. هل أنتِ متأكدة أنك لا تفضلين تحويلاً مصرفياً؟

أنا متأكدة.

والحقيقة أنني لم أعد متأكدة من شيء.

موعد قطاري المتجه إلى آراس في الساعة السابعة.

كان بوسعي أن أطلب من هيرفي مونييه، طالما أنه اقترح عليَّ ذلك، تبديل موعد بطاقتي، والحجز في موعد قطار أبكر من الذي حجزته، لكن الطقس جميل. أريد أن أتمشى قليلاً. إنني بحاجة إلى الهواء. تركتني ديزي دوك K.-O. لا يسعني أن أصدق أن قاتلاً، ولا حتى كاذباً، وبدرجة أقل أيضاً أنّ لصاً، ينزوي في داخل زوجي جو. ولا تصديق أن طفليَّ سيريانني بعيني بيكسو(*)، تلك العينين الجاحظتين الطمّاعتين اللتين كان يخرج منهما الدولار $ في الألبومات المصورة إبان طفولتي، عندما ينظر إلى شيء ما يشتهيه.

الطمع يُشعل كل شيء في طريقه، كانت قد قالت.

يرافقني هيرفي مونييه حتى الرصيف. يتمنى لي حظاً سعيداً. تبدين شخصاً طيباً يا مدام غيربيت. تقول شخصاً طيباً. شخص معه ثمانية عشر مليوناً، أجل. ثروة لن يحصل عليها آل غيربيت أبداً. الأمر المضحك أنّ المستضعفين يعطون غالباً انطباعاً أنهم يستمدّون

(*) بيكسو: بطّة خيالية ابتكرها السيناريست والرسام كارل بارك عام 1947، وعُرفت باسم العمّ البخيل بسبب جشعها وبخلها.

الغنى من ساداتهم. وتصل العبقرية لدى الناس أحياناً أن يستسلموا ليصبحوا خدماً لهم. خدم الخادم. لا تبالغ يا سيد مونييه، أقول وأنا أسحب يدي التي يحتفظ بها في يده بإصرارٍ دبق. يخفض بصره ويعود أدراجه إلى البناء، نحو لافتة الباب الدوار. سيجد من جديد ديكور مكتبه الذي لا يملك منه شيئاً. ولا حتى قطعة الموكيت السميكة أو لوحة الشقق المعلقة على الحائط. إنه ينتمي إلى عائلة من أمناء الصناديق في البنوك الذين يعدون آلاف البطاقات، ولا ينفكّون يحرقون أصابعهم.

وأين سأمضي الوقت حتى نهاية النهار.

أرتقي شارع جان-جوري حتى محطة مترو بولون-جان جوري، الخط رقم عشرة، باتجاه محطة أوسترليتز، للتبديل في محطة موت-بيكيت. أنظرُ إلى ورقتي الصغيرة. خذي الخط ثمانية باتجاه كريتيه-بريفكتور واخرجي من محطة مادلين، اجتازي شارع مادلين وانزلي في شارع دوفو وارتقي من جديد شارع كامبون على اليسار، حتى البناء رقم 31.

ولم أكَدْ أمدّ يدي حتى فُتِحَ الباب من تلقاء نفسه بفضل بوّاب. خطوتان وألج عالماً آخر. الجو منعش. والضوء عذب. البائعات جميلات ورزينات؛ إحداهن تقترب وتهمس، هل يمكنني مساعدتك يا سيدتي؟ أتمتم متأثرة، أتفرج، لكنها هي مَن كانت تتفرج عليّ.

أرتدي معطفاً قديماً رمادياً، لكنه مريح لدرجة لا تتخيلونها، وحذاءً ذا نعلين مسطحين - اخترته هذا الصباح الباكر لأن قدميَّ تنتفخان في القطار - وأحمل حقيبة مشوهة، بالية؛ تبتسم لي، لا تتردّدي في طلب ما تريدين مني. تبتعد، رزينة، وأصيلة.

أقترب من سترة متعددة الألوان مصنوعة من التويد، من الكتان والقطن، السعر 2490 أورو. كانت الأختان التوأمان ستتولّهان بها. وكنت سأضطر لشراء اثنتين منها، 4980 أورو. زوج صنادل جلدية بكعب 90 مم، 1950 أورو. قفازات بلا أصابع، قالب مشدوف من جلد الحمل 650 أورو، ساعة بسيطة جداً، من السيراميك الأبيض 3100 أورو. حقيبة يد ساحرة من جلد التمساح، كانت أمي لتُجَنَّ بها لكنها ما كانت لتتجرأ أبداً، السعر عند الطلب.

من أي مبلغ يبدأ السعر عند الطلب؟

فجأة، تخرج ممثلة لا أذكر البتة اسمها من المتجر. تمسك حقيبة كبيرة في كل يد. تعبر قريباً جداً مني لدرجة أنني أشم فوحان عطرها، رائحة ثقيلة، واخزة قليلاً، جنسية على نحو غامض. ينحني البواب انحناءة احترام لا تلحظها. وفي الخارج، يهرع سائق ويأخذ الحقيبتين. تغوص في سيارة فخمة سوداء ثم تختفي خلف الزجاج الكامد، مبتلعة.

أي سينما!

أنا أيضاً، جوسلين غيربيت، بائعة في حانوت خياطة بآراس، يمكنني إفراغ متجر شانيل، واستئجار خدمات سائق والتنقل في سيارة ليموزين؛ لكن لماذا أفعل؟ ما رأيته من وِحْدَة على وجه هذه الممثلة أرعبني. لذلك أغادر برزانة متجر الأحلام، فتوجه لي البائعة ابتسامة متأسفة بتهذيب، ويفتح لي البواب الباب، لكن دون أن أحظى بحق الانحناءة، أو أنني لم ألاحظها.

الهواء منعش في الخارج. أصوات زمامير السيارات، ووعيد نافدي الصبر، ورغباتٌ بقتل سائقي الحافلات، ومتسابقو شارع

ريفولي الانتحاريون على بعد عشرات الأمتار من هنا، كل شيء يطمئنني فجأة. أكثر من الموكيت السميك، وأكثر من التبجيلات المتملقة. وأكثر من العنف المألوف أخيراً. أكثر من الألم الدنيء. ومن الحزن الذي لا يخرج. ومن الروائح الواخزة، الحيوانية على نحو مبهم، الكيميائية، كما في آراس خلف المحطة. حيث حياتي الحقيقية.

أتوجه عندئذٍ نحو حديقة التويليري؛ أشدّ إلى بطني حقيبة يدي القبيحة، **خزنتي**؛ قال لي جو أن أنتبه من النشالين في باريس. هناك عصابات من الأطفال تسلبك بالقوة ودون أن تتأكدي من شيء. هناك متسولون مع أطفال حديثي الولادة لا يبكون أبداً، يكادون لا يتحركون، متعبين من الدينورال أو الهيكزابنومين. أفكر في لوحة **المحتال**(*) لجيروم بوش(**)، كانت أمي تحب هذه اللوحة؛ كانت تحب أدق تفاصيلها، مثل جوز الطيب على طاولة المحتال.

أرتقي ممرّ ديان حتى مصطبة الشمال، حيث أجلس على مقعد صخري صغير. ثمة غدير من الشمس عند قدمي. أشعر فجأة برغبة

(*) لوحة **المحتال** وتسمى أيضاً الغش والمشعوذ أو الدجال. يكشف فيها بوس عملية احتيال حقيقية، إذ يجذب مشعوذ المتسوقين ويتلاعب بموقع جوزة الطيب في الدلاء. تنتمي لعبة السحر هذه إلى العصور القديمة، من طريق المراهنة على موقع جوزة الطيب، ويقوم المحتال بالتلاعب في مكانها.

(**) جيروم بوش أو هيرونيموس بوس: رسام هولندي من القرنين الخامس عشر والسادس عشر. العديد من أعماله تصوِّر الخطيئة والفشل الأخلاقي الإنساني. استخدم بوس صور العفاريت والحيوانات نصف البشرية والماكينات ليبعث الخوف والاضطراب ليصوّر شر الإنسان.

أن أصبح بوسيت(*) (Poucette). أن أتمدد في هذا الغدير الذهبي. أن أتدفأ فيه. أن أحترق فيه.

مع أن جزيئات الهواء مطوّقة بالحافلات والزلاجات المخيفة، ومحصورة بين طريق ريفولي ورصيف فولتير، فإنها تبدو لي على نحو غريب أكثر صفاءً وأكثر نظافة. أعرف حق المعرفة أن ذلك غير ممكن. وأن ذلك هو ثمرة مخيلتي وخوفي. أُخْرِجُ السندويشة من حقيبة يدي؛ جو هو من حَضَّرَها لي هذا الصباح، فيما كان الظلام لا يزال مخيماً في الخارج. قطعتا خبزٍ بالزبدة وعلبة تونة وبيضة مسلوقة. قلتُ له أرجوك، سأشتري شيئاً ما في المحطة، لكنه أصرّ، إنهم لصوص في المحطات في الأخص، يبيعونك سندويشة بثمانية أورو وهي أقل جودة من سندويشتي وحتى من غير المؤكَّد أنها طازجة.

حبيبي جو. زوجي الودود. إنها لذيذة سندويشتك.

على بعد أمتار، تمثال أبولون يطارد دافني وتمثال دافني مطارد من أبولون ذاته. وأبعد من ذلك، فينوس ذات المؤخرة الجميلة؛ **ذات المؤخرة الجميلة**، صفة أذكر أنني تعلمت تعريفها خلال الرسم: من لديها أرداف جميلة، انظر: سمين، سمن. مثلي. وها أنا ذا، أنا، امرأة من آراس، تجلس على ردفيها الجميلين وتأكل سندويشة في حديقة التويليري بباريس مثل تلميذة بينما لدي ثروة في حقيبة يدي.

(*) الصغيرة بوسيت، قصة خرافية كتبها الشاعر والقاص الدانماركي هانس كريستيان أندرسن (1805-1875) ونُشرت لأول مرة في كتيب في 16 كانون الأول/ ديسمبر 1835 في كوبنهاغن، وتحكي قصة فتاة صغيرة ضئيلة تواجه عقبات أكبر بكثير من حجمها.

ثروة مخيفة لأنني أدركُ فجأة أنّ جو محق.

فحتى بثمانية أورو، باثني عشر أورو، بخمسة عشرة أورو، لن أحصل على سندويشة لذيذة مثل سندويشته.

في ما بعد، بقي لدي أيضاً متّسع من الوقت قبل انطلاق قطاري، فذهبتُ لأتطفل على سوق سان بيير في شارع شارل نوديه. إنه مغارة علي بابا التي آوي إليها.

تغوص يداي في الأقمشة، وترتعش أصابعي عند لمس نسيج الأورغاندي، واللباد الناعم، والجوتة والباتشورك. أشعر عندئذٍ بالنشوة التي لا بد أن تلك المرأة المحتجزة طوال الليل في متجر سيفورا للعطور شَعَرَتْ بها، في فيلمهم الإعلاني الجميل. لن يشتري كل ذهب العالم هذا الدوار. جميع النساء جميلات هنا. عيونهن تلمع. يتخيلن من قطعة نسيج فستاناً، وسادةً، دميةً. يصنعن أحلاماً؛ لديهن في أطراف أصابعهن جمال العالم. قبل أن أغادر أشتري أقمشة بيمبرغ، وبضعة أحزمة بولي بروبيلين، وأشرطة قطنية مسننة وشرابات كروية.

تكلِّف السعادة أقل من أربعين أورو.

خلال رحلة الخمسين دقيقة، يراودني النعاس في الهواء المتلبد للقطار السريع. أتساءل إن كان رومان ونادين يملكان كل ما يحتاجان إليه الآن وقد صار بوسعي أن أقدِّم لهما كل شيء. يمكن لرومان أن يفتتح مطعم فطائر خاص به. ويمكن لنادين أن تنتج كل الأفلام التي ترغب بها وألا تخضع للنجاح كي تعيش حياة لائقة. لكن هل يعيد هذا، الزمنَ الذي لم نمضه كفاية معاً؟ هل يعيد العطل

الصيفية التي أمضيناها بعيدين بعضنا عن بعض، والخيبات، وساعات الوحدة والبرد؟ والمخاوف؟

هل تُقَصِّرُ النقود المسافات، وتُقَرِّبُ الناس؟

وأنت يا عزيزي جو، لو عرفتَ كل هذا، ماذا كنتَ ستفعل؟ قل لي، ماذا كنتَ ستفعل؟

كان جو ينتظرني في المحطة.

ما إن رآني، حتى حثَّ الخطى دون أن يصل مع ذلك إلى درجة الركض. احتضنني بين ذراعيه على الرصيف. فاجأني هذا الدفق غير المتوقع، أضحكُ، بضيق تقريباً. جو، جو، ماذا يحدث؟ يهمس في أذني، جو، أنا مسرور لأنك عدتِ.

وها أنا ذا.

كلما كَبُرَتْ الأكاذيب، قَلَّ أن يرى الناس قدومها.

أرخى عناقه، وانزلقت يده إلى يدي ومشينا حتى المنزل. رويتُ له نهاري. اختلقتُ باختصار اجتماعاً مع فلاجيل ساباران بائع جملة في الدائرة الثالثة. عرضتُ عليه مشترياتي العجيبة من سوق سان بيير. سأل، وسندويشتي؟ أقفُ عندئذٍ على رؤوس أصابع قدمي وأقبّل عنقه. إنها الأفضل في العالم. مثلك.

هرعتْ فرانسواز إلى حانوت الخياطة.

هتفتْ، هذا صحيح! ذَهَبَتْ تبحثُ عن شيكها! إنها امرأة. هذا مكتوب هنا، في صحيفة **لا فوا دو نورد**، امرأة من آراس تصرُّ على الاحتفاظ باسمها مغفَلاً! هنا، انظري! كما تعرفين، انْتَظَرَتْ حتى الدقيقة الأخيرة! لو كنتُ مكانها، لذهبتُ إلى هناك في الحال، ولخشيتُ ألا يدفعوا لي، هذه ثمانية عشر مليوناً كما تعرفين يا جو، حسناً، إنها ليست مئة مليون فونيل(*)، لأنهم كانوا خمسة عشر شخصاً في الرهان، وهذا أَمَّنَ لكل واحد منهم ستة ملايين، أما هنا، فهذه ثمانية عشر مليوناً لها وحدها، ثمانية عشر مليوناً، أكثر من ألف عام من الأجر المتدني، ألف عام يا جو، ومن الغائط! دَخَلَتْ دانييل بدورها. كانت محمرة تماماً. كانت تحمل ثلاثة فناجين قهوة. أوه لا لا لا، تنهدتْ، يا لها من قصة. مررتُ إلى محل بيع التبغ، لا أحد يعرف من هي، ولا حتى سائق سيارة الشامبو عند جان-جاك. تُقَاطعُها فرانسواز. قريباً سنرى سيارة مازيراتي أو كايين، وعندئذٍ

(*) مئة مليون فونيل: في عام 2009 راهن خمسة عشر شخصاً على بطاقة الأورو مليون في مدينة فونيل وربحوا مئة مليون أورو وتقاسموها.

سنعرف من هي. أتدخَّل وأنكِّد عليهما، تلك ليست سيارة لامرأة، الأصح ميني أو فيات 500.

لعلَّها لن تشتري سيارة، وربما لن تغير شيئاً في حياتها.

تنفجر الأختان التوأمان ضاحكتين. ألأنكِ، أنتِ، ما كنتِ لتغيري شيئاً؟ ولبقيتِ هكذا في حانوتك الصغير تبيعين قصاصات النسيج لتشغيل النساء المسنات اللاتي يسأمن، ولا يملكن الجرأة حتى على اتخاذ عشيق! أوه لا! كنتِ ستفعلين مثلنا، كنتِ ستبدِّلين حياتك، ولاشتريتِ منزلاً جميلاً على البحر، ربما في اليونان، ولدفعتِ تكاليف رحلة ممتعة وثمن سيارة جميلة؛ ولدللتِ أطفالك، ورفيقاتكِ، أضافتْ فرانسواز؛ ولاستعدْتِ خزانة ملابسك، ولذهبتِ إلى باريس للتسوق في المتاجر، ولما نظرتِ بعد أبداً إلى أسعار الأشياء، حسن، ولخصصتِ هبة لمصابي السرطان كما لو أنك تشعرين بالذنب. أو للمصابين بالتهاب المفاصل. رفعتُ كتفيَّ. قلتُ، يمكنني أن أفعل كل هذا دون أن أربح. أجابتا، أجل، لكن لن يكون ذلك الأمر ذاته، لن يكون ذاته البتة. لا يمكنكِ...

دخلت زبونة جعلتنا نصمت، مكتسحة ثرثرتنا.

نَظَرَتْ بمرح إلى مقابض حقائب اليد، ورازت إحداها، من قنب دانيليه المتصلب، ثم سألتني وهي تلتفت عن أخبار جو. طمأنتها، وشكرتها.

آمل أن تكون صدريتي أسعدته، قالت، صدرية خضراء بأزرار خشبية، ثم باحت لي منتحبة أن ابنتها الكبيرة في المشفى، على وشك الموت من تلك الإنفلونزا الغادرة. لم أعُد أدري ماذا أفعل، ولا ماذا أقول. لديكِ كلمات جميلة جداً في مدوَّنتك يا جو، ماذا

يمكنني أن أقول لها لأودِّعها؟ هل يمكنكِ أن تعطيني كلمات؟ من فضلك.

خجلتْ فرانسواز ودانييل. حتى لو كان لديهما ثمانية عشر مليوناً، وحتى لو كان لدينا نحن الثلاثة ثمانية عشر مليوناً، ما كان بوسعنا فجأة أن نفعل شيئاً لهذه الأم.

عندما وصلنا إلى المشفى، كانت ابنتها الكبيرة قد وُضعت في العناية المشدَّدة.

خبأتُ الشيك تحت النعل الداخلي لحذاء قديم.

أحياناً في الليل، كنتُ أنتظرُ حتى يبدأ جو الشخير وأغادر السرير، وأمشي دون ضجيج إلى خزانة الأحذية، وأدسُّ يدي في الحذاء وأخرج منه الورقة الكنز. كنت أذهب عندئذٍ لأحبس نفسي في الحمام، وهناك، وأنا جالسة على كرسي المرحاض، كنت أبسط البطاقة وأنظر إليها.

كانت الأرقام تصيبني بالدوار.

ذات يوم في سن الثامنة عشر، أعطاني أبي ما يعادل الألفين وخمسمئة أورو. قال لي إنه مبلغ كبير. وبهذا المبلغ، يمكنكِ دفع تأمين شقة، يمكنكِ القيام برحلة جميلة، يمكنك شراء كل كتب الأزياء التي ترغبين بها أو سيارة صغيرة من التنزيلات إن شئتِ، وبدا لي آنذاك غنياً. أدركُ اليوم أنني كنتُ غنية بثقته؛ وهذه أعظم ثروة.

أعرف أنه كلام مكرور. لكنه حقيقي.

قبل أن يُصاب بالجلطة الدماغية التي سجنتْه في حلقة الدقائق الست من الزمن الحاضر، عمل لأكثر من عشرين عاماً في معمل كيميائي في تيلوي-لي-موفلين، على بُعد أربعة كيلومترات من آراس. كان يراقب صناعة ميثيل كلوريد الأمونيوم وألدهيد

الكلوراتيك. كانت أمي تطالبه أن يأخذ بانتظام دوشاً فور عودته إلى المنزل. فيبتسم ويستجيب عن طيب خاطر لهذا الطلب. وإذا كان ألدهيد الكلوريك قابلاً فعلاً للذوبان في الماء، فإن حالة ميتيل الكلوريد لم تكن كذلك. لكن لون البندورة لم يتحول قط في المنزل إلى الأزرق، ولم يبدأ البيض بالانفجار ولم تنمُ الكلابات في ظهورنا. لا بد من الإيمان أنّ صابون مارسيليا كان يصنع المعجزات.

كانت أمي تُدَرِّسُ الرسم في الصفوف الابتدائية وتحب ورشة الموديل الحي يوم الأربعاء في متحف بو-آرت. كانت خطوطها بقلم الرصاص ساحرة. وألبوم صور أسرتنا هو مفكرة رسومات. تشبه طفولتي مجموعة أعمال فنية. كانت أمي جميلة وكان أبي يحبها.

أنظر إلى هذا الشيك اللعين وهو بدوره ينظر إليّ.

ويتهمني.

أعلم أن المرء لا يدلل أبداً والديه بما يكفي وأنه حين يعي ذلك يكون الأوان قد فات.

لم أعد بالنسبة إلى رومان إلا رقم هاتف في ذاكرة هاتفه المحمول، وعطل صيفية في باري-دينيس وبضعة أيام أحد في خليج سوم. لا يدلِّلني مثلما لم أدلِّل والديَّ أيضاً. يبثّ دوماً أخطاءنا. أما نادين فهي مختلفة. لا تتكلم. تعطي. وعلينا نحن أن نتعلم فكّ الرموز. وأن نتلقى. ومنذ عيد الميلاد الأخير، ترسل لي أفلامها القصيرة من لندن، عبر الإنترنت.

الفيلم الأخير مدَّته دقيقة.

ثمة فقط زاوية واحدة وتأثيرات مبالغة قليلاً للزوم (zoom).

نشاهد امرأة عجوزاً على رصيف، في محطة فكتوريا. شعرها أشيب؛ كأنه كرة ثلج ضخمة. نزلتْ من قطار، تمشي بضعة خطى، ثم تضع حقيبتها الثقيلة جداً. تنظر حولها؛ يطوِّقها الحشد كما يطوق الماء حصاة؛ وبعد ذلك تجد نفسها وحيدة فجأة، وفي غاية الضآلة، ومنسية. المرأة ليست ممثلة. والحشد ليس جمهوراً من الممثلين. إنها صورة حقيقية. هزيمة مألوفة. بالنسبة إلى الموسيقى، اختارت نادين **الآداجيتو** من **السيمفونية الخامسة** لميلر وجعلت من هذه الدقيقة التي خصَّتني بها، أشدّ دقيقة رأيتها تأثيراً عن ألم الهجر والفقدان والخوف والموت.

أطوي الشيك. أخنقه في قبضتي.

بدأتُ أنحف.

أعتقد أنه الإرهاق. لم أعد أعود إلى المنزل ظهراً، أبقى في حانوت الخياطة. لا أتغدى. تقلقُ الأختان التوأمان، فأتذرّع بالحسابات المتأخِّرة، وطلبات ألبسة التفصيل، ومدوَّنتي. أصبح لدي من الآن فصاعداً نحو ثمانية آلاف زائر يومياً. وافقتُ على وجود إعلان على مدوَّنتي، ومن عائداته يمكنني أن أدفع أجراً لمادو. منذ أن أخذ الالتهاب الرئوي ابنتها الكبيرة إلى العناية المشدَّدة الشهر الماضي، أصبح لدى مادو وقت. وأصبح لديها الآن كلمات أكثر مما ينبغي. وحبٌّ أكثر ممّا ينبغي. تستغرق في أشياء غير مجدية، في عائدات لن تحصل عليها بعد أبداً (فطائر الكراث، وبسكويت بالسكر البني)، وحاسبات للأطفال الصغار لن يكون لديها منهم. تبكي أيضاً أحياناً، وسط جملة أو حين تسمع أغنية أو عندما تدخل فتاة شابة وتسأل عن وشاح صوفي أو نسيج حرير مقلم لأمها. تعملُ معنا الآن. تردُّ على الرسائل الواردة إلى موقع **الأصابع الذهبية العشرة**، تستلم وتتابع الطلبات منذ أن جرَّبنا موقعاً صغيراً للبيع. ابنتها الكبيرة تدعى باربارة. وهي في مثل سن رومان.

تحب مادو الأختين التوأمين، تقول لي إنهما مجنونتان، لكن أي تهور. منذ أن ساعدتني في المدوَّنة، تجرب كلمات حديثة.

أي هزل!

تذهب في كل يوم أربعاء للغداء مع دانييل وفرانسواز، في شارع تويليري، عند مطعم دوفرير. يطلبن سلطة ومياهاً غازية وأحياناً كأس نبيذ، لكنهن في الأخص، يملأن جداول الأرقام. يفتشن في ذاكرتهن عن الأرقام السحرية. عيد ميلاد. تاريخ لقاء غرامي. أوزانهن المثالية. أرقام تأمينهم الاجتماعي. أرقام منازل طفولتهن. تاريخ أول قبلة. التاريخ الذي لا يُنسى لحزن غير مواسى. رقم هاتف لم يعُد يجيب.

حين تعود مادو بعد ظهر كل يوم أربعاء، تكون عيناها لامعتين، ومدورتين مثل بطاقات اللوتو. وبعد ظهر كل يوم أربعاء تقول لي: أوه ، جو، جو، إذا ربحت، إذا ربحت، ليس لديك فكرة عن كل ما قد أفعله! واليوم أسألها لأول مرة، ما عساك قد تفعلين يا مادو؟ فتجيب لا أدري، لكن هذا سيكون خارقاً.

في هذا اليوم بدأت لائحتي.

لائحة احتياجاتي

مصباح من أجل طاولة المدخل

مشجب دوار (طراز حانة)

نوع من الطبق لترتيب المفاتيح والبريد (عند كاش إكسبريس؟)

مقلاتا تيفال

ميكروويف جديد

عصارة خضار

سكين للخبز

قشارة بطاطا (مسلي عندما يملك المرء ثمانية عشر مليوناً !!!!!)

مماسح

طنجرة لطبخ الكسكس

زوج من الشراشف لغرفتنا

فراش ريش وغطاء فراش ريش

حصيرة حمام مانعة للانزلاق

ستارة حمام (بلا أزهار!)

خزانة صيدلية صغيرة (حائطية)

مرآة ضخمة مضاءة (مشاهدة على الإنترنت. ماركة بابيليس، 65,62 أورو دون التسليم)

منتاف جديد

خفان لجو.

سدادات أذن (بسبب الشخير!)

سجادة صغيرة لغرفة نادين.

حقيبة جديدة. (شانيل؟ انظري إلى ديور أيضاً.)

معطف جديد. (العودة لرؤيته عند كارول، شارع روي. معطف جميل 30% صوف، 70% من وبر الألبكة. مريح جداً. يُنَحفني. 330 أورو.

هاتف نقال بلاك بيري (بسبب المدوَّنة)

بطاقة قطار للذهاب إلى لندن. (مع جو. ليومين في الأقل)

جهاز راديو صغير للمطبخ

طاولة كوي جديدة

مكواة (جميلة جداً ببخار مركزي حراري مشاهدة في أوشان، 300,99 أورو)

محلول وقناع مقوي لشعري (ماريونود، 2,90 أورو، و10,20)

حسناء السنيور (إعادة قراءة. شاهدتها في فوليو عند برونيه)

دليل التمويلات الشخصية للمبتدئين

ملابس داخلية وجوارب لجو

شاشة مسطحة. (؟؟؟)

مجموعة ديفيديات كاملة لجيمس بوند. (؟؟؟)

عادت الصحفية من جديد.

جلبتْ كرواسان ومسجلة صغيرة. لم أستطِع الفرار.

لا، لا أعرف كيف بدأ هذا. أجل، راودتني رغبة أن يشاركني الآخرون شغفي. لا، لم أفكر قط جدياً أن هذا قد يهم كثيراً من النساء. لا، **الأصابع الذهبية العشرة** ليس للبيع. إنه ليس لأجل المال. لا، أظن أن النقود لا تشتري هذا النوع من الأشياء. أجل، هذا صحيح، أكسب مالاً من الإعلان. هذا يتيح لي أن أدفع أجراً إضافياً، أجر مادو.

أجل، هذا يسعدني ونعم، أنا فخورة. لا، هذا لا يدفعني للغرور وأيضاً لا، لا يمكن الحديث حقاً عن نجاح. أجل، النجاح يصبح خطيراً عندما يبدأ المرء يكفّ عن الشك بنفسه. آه أجل، أشك بنفسي في كل الأيام. لا، زوجي لا يساعدني أبداً في المدوَّنة. أجل، يفكر معي بطريقة لتخزين الأشياء، أجل، لأن البيع يتحسن؛ وحتى صَدَّرْنا مجموعة من الكنفات إلى موسكو البارحة. تتساءل موسكو؟ فأضحك. إنه حي قرب كانال دي ميدي، في تولوز. آه. لا ليس ثمة رسالة في ما أفعله. فقط للمتعة، للصبر.

أجل، أعتقد أن كل ما يأتي من الماضي لم يتم تجاوزه. أن يعمل المرء بنفسه يحظى بشيء أجمل؛ الاستغراق في الوقت أمر مهم. أجل، أعتقد أن كل شيء يجري بسرعة فائقة. يتكلم الناس بسرعة فائقة. يفكرون بسرعة فائقة، عندما يفكرون. يرسلون إيميلات ورسائل نصية دون أن يعيدوا قراءتها، يفقدون لباقة الكتابة والتهذيب ومعنى الأشياء. شاهدتُ أطفالاً نشروا على الفيسبوك صورهم وهم يتقيؤون. لا، لا، لست ضد التقدم؛ أخشى فقط أن ينعزل الناس عن بعضهم أكثر. في الشهر الماضي، أرادت فتاة أن تموت وأخطرت أصدقاءها البالغ عددهم 237 ولم يجبها أحد. عفواً؟ أجل، ماتت. شنقت نفسها. لم يخبرها أحد أن تلك العشرين دقيقة مؤلمة جداً. وأن المرء يرغب دوماً بوجود من ينقذه، وأنه لن يجيب على التماسات المخنوقين إلا الصمت. إذاً، ما دمتِ ترغبين إلى هذا الحد بصيغة، يمكنني القول إن **الأصابع الذهبية العشرة** هو مثل أصابع اليد. النساء هن الأصابع واليد هي الشغف. هل يمكنني أن أستشهد بك؟ لا، لا، هذا مضحك. بالعكس، أجده مؤثراً. إنها صورة بليغة.

ثم توْقف مسجلتها.

أعتقد أنّ لدي الكثير من الأمور المدهشة لمقالتي. أشكركِ يا جو. آه، سؤال أخير. هل سمعت عن تلك القاطنة في آراس التي ربحت ثمانية عشر مليوناً في اللوتو؟ أتحفظ فجأة. أجل. لو كنتِ أنتِ يا جو، ماذا كنتِ ستفعلين بها؟ لم أدري بماذا أجيب. تستطرد، هل كنتِ ستطورين **الأصابع الذهبية العشرة**؟ هل كنت ستساعدين النساء الوحيدات؟ هل كنت ستنشئين مؤسسة؟ أتلعثم.

لا . . . لا أدري. هذا . . . هذا لم يحصل. ثم إنني لست قديسة كما تعلمين. حياتي بسيطة وأحبها كما هي.
جو، أشكرك.

- بابا، ربحت ثمانية عشر مليوناً.

ينظر أبي إليّ. لا يصدق أذنيه. يفتر فمه عن ابتسامة. وتتحول إلى ضحك. ضحك عصبي في البداية، يستحيل إلى فرح. يمسح الدموع الصغيرة التي تتلألأ في عينيه. هذا مدهش يا ابنتي، لا بد أنك سعيدة. هل أخبرتِ أمك بذلك؟ أجل، أخبرتُ أمي بذلك. وماذا ستفعلين بكل هذا المال يا جوسلين، هل لديك فكرة؟ بصراحة يا أبي، لا أدري. كيف لا تدرين؟ كل الناس يعرفون ماذا سيفعلون بمثل هذا المبلغ. يمكنك أن تعيشي حياة جديدة. لكنني أحب حياتي يا أبي. هل تعتقد أن جو سيظلّ يحبني كما أنا لو عرف؟ يسألني، هل تزوجتِ؟ أطأطئ رأسي. لا أريده أن يرى حزني. وهل لديك أطفال يا عزيزتي؟ لأنه إذا كان لديك أطفال، دلليهم؛ لا يدلل المرء أبداً أطفاله بما يكفي. هل أدللكِ يا جو؟ أجل يا أبي، في كل الأيام. آه، هذا حسن. إنك تُضحكني أنا وأمي؛ حتى حين تغشّ في لعبة المونوبولي وتقسم أنّك لست أنت، وأن بطاقة الخمسمئة كانت موجودة هناك، في كومة بطاقاتك من فئة الخمسة. ماما سعيدة معك. وعندما تعود في كل مساء، وفي اللحظة التي تسمع فيها صوت مفتاحك في القفل، تقوم بإيماءة جميلة: تعيد خصلة شعرها

المائلة إلى ما وراء أذنها وتنظر إلى نفسها خلسة في المرآة، تريد أن تكون جميلة لأجلك. تريد أن تكون هديتك. تريد أن تكون حسناءك، حسناء السنيور. هل تعتقدين أن أمك ستأتي، لأنها ستجلب لي الصحيفة ورغوة الحلاقة، لم يعد لديّ الكثير منها. ستأتي يا أبي، ستأتي. آه، هذا حسن، هذا حسن. ما اسمك؟

قصيرة هي هذه الدقائق الست العاهرة.

يصحبني جو في عطلة نهاية هذا الأسبوع إلى توكيه.

فقدتِ أيضاً وزناً، يقلق. ويقول، أنت ترهقين نفسك بالعمل. حانوت الخياطة، والمدوَّنة، ومعاناة مادو. عليكِ أن ترتاحي.

حجز غرفة في فندق فوريت المتواضع. وصلنا إليه نحو الساعة الرابعة عصراً.

على الطريق السريع، تجاوزتنا سبع سيارات بورش كايين وشاهدتُ جيداً نظرته الخاطفة في كل مرة. التماعاتُ حلم صغيرة. كانتا تلمعان أكثر من المعتاد.

نتبرد في الحمام الرطب، ثم ننزل نحو الشاطئ، عبر شارع سان-جان. يشتري لي قطع شوكولا شاتبلو. فأهمس في أذنه، أنتَ مجنون. ويقول مبتسماً، يجب أن تستردّي قواك. يوجد في الشوكولا مغنيزيوم، وهو مضاد للاكتئاب. ها أنت تعرف بعض الأشياء عن الشوكولا يا جو.

نخرج من جديد. يحتضن يدي. إنك زوج رائع يا جو؛ أخ كبير، أب، إنك كل الرجال الذين يمكن لامرأة أن تحتاجهم.

حتى عدوّها؛ وهذا ما أخافَها.

نتمشى وقتاً طويلاً على الشاطئ.

تعبُر عربات ذات أشرعة مسرعة بقربنا؛ تصفق أجنحتها وتجعلني كل مرة أجفل كما كانت تجفلني أسراب السنونو وهي تحلِّق بمستوى سطح الأرض قرب منزل جدتي، في فصول الصيف خلال طفولتي. تشبه توكيت خارج فصل الصيف بطاقة بريدية. متقاعدون، كلاب، خيالة وأحياناً بضعة نساء شابات يتنزهن على الشاطئ مع عربة طفل. تلفح الريح وجوهنا، ويجفِّف الهواء المالح بشرتنا؛ نرتعش، إننا على وئام.

لو عرفَ، لهبَّت العاصفة، ووقعت الحرب. لو عرف، ألن يرغب بجُزر مشمسة وكوكتيل حمضي، ورمال دافئة؟ وبغرفة فسيحة وأغطية جديدة وأقداح شمبانيا؟

نمشي ساعة أخرى، ثم نأوي من جديد إلى فندقنا. يتوقّف جو عند البار الصغير، ويطلب بيرة من دون كحول. أصعد لآخذ حماماً.

أنظر في المرآة إلى جسدي العاري. تلاشت ترهُّلات جسدي، وبدا فخذاي نحيلين أكثر. أصبح متأرجحاً بين وزنين. جسد مضطرب. لكنني أجده جميلاً رغم كل شيء. مؤثراً. ينبئ بتفتُّح. وهشاشة جديدة.

أقول في سري إنني لو كنت ثرية لوجدته قبيحاً. ولرغبتُ في ترميم كل شيء فيه. تكبير الثديين. وشد البطن. وجراحة تجميلية للعضدين، وربما عملية شد جلد خفيف حول العينين.

أن يكون المرء غنياً يعني أن يرى كل ما هو قبيح ما دامت لديه الغطرسة ليفكِّر أن بمقدوره تغيير الأمور. وأنه يكفيه أن يدفع ليقوم بذلك.

لكنني لست ثرية. لدي فقط شيك بثمانية عشر مليوناً وخمسمئة

وسبعة وأربعين ألف وثلاثمئة وواحد أورو وثمانية وعشرين سنتيماً، مطويٌّ ومخبأٌ في قلب حذاء، لدي فقط إغراء. حياةٌ أخرى ممكنة. منزلٌ جديد. تلفزيون جديد. كثير من الأشياء الجديدة.

لكن لا شيء مختلف.

بعد ذلك، أجد زوجي من جديد في صالة المطعم. طلبَ زجاجة نبيذ. نشرب نخبنا. يقول، بشرط ألا يتغير شيء وأن يستمر كل شيء. **ولا يختلف شيء.**

شكراً للسماء لأنني لم أصرف الشيك بعد.

لائحة رغباتي

الذهاب في إجازة صيفية لوحدي مع جو (ليس إلى مخيم سورير. توسكان؟).

السؤال عمّا يمكن تغييره في غرفة أبي.

اصطحاب رومان ونادين إلى ضريح أمي (وأن أكلّمهما عنها. وعن حلوياتها اللذيذة).

قصّ شعري.

ثياب داخلية حمراء، مثيرة جنسياً. (ستصبح مجنوناً يا جو!)

المعطف من متجر كارول قبل أن ينفد من عندها. بسرعة!!

ترميم ديكور الصالون (شاشة مسطحة؟؟؟)

تبديل باب المرآب إلى بوابة أوتوماتيكية.

الغداء في مطعم تيلفون في باريس ذات يوم. (قراءة المقال الذي يجعل اللعاب يسيل في مجلة إيل آ تابل.)

كبد البط على خبز الزنجبيل مع الأختين التوأمين وقضاء ليلة كاملة نشرب فيها النبيذ الفاخر ونتحدث عن الرجال.

الطلب إلى جو أن يخصص مكاناً للنفايات في الفناء. (أكره إعادة التدوير!!!)

العودة إلى إيتريتا.

قضاء أسبوع في لندن مع نادين. (مشاركتها حياتها. وملاطفتها. وأن أقرأ عليها قصة الأمير الصغير. يا إلهي، إنني مجنونة!)

أن أتجرأ وأقول لرومان أنني وجدت صديقته الصغيرة في عيد الميلاد الأخير قبيحة ومبتذلة وسيئة. (وإرسال بعض المال له)

الاهتمام بالمسبح. (التدليك. مستحضرات إيستهيديرم؟ أم سيمون ماهلر؟) سأهتم بنفسي. هيا، لا أحد في المنزل!

الأكل جيداً.

إجراء ريجيم. (كلانا)

رقص السلو مع جو على أنغام «الصيف الهندي» في 14 تموز/ يوليو القادم.

شراء المجموعة الكاملة من جيمس بوند (؟؟؟)

دعوة الصحفية إلى الغداء. (تقديم هدية لأمها.)

حقيبة يد ماركة شانيل.

كندرة ماركة لوبوتان.

متجر هرمز. (جَعْلُهُ يعرض الكثير من الأوشحة، ومحاولة التأكد، سأفكر!)

شراء ساعة سايكو.

إخبار كل الناس أنني أنا من رَبِحَتْ الثمانية عشر مليوناً. (ثمانية عشر مليوناً وخمسمئة وستة وأربعين ألفاً وثلاثمئة وواحد أورو وثمانية وعشرين سنتيماً بالضبط)

أن أكون مرغوبة. (أخيراً!!!) (من المضحك كتابة «أن أكون مرغوبة» في لائحة رغباتي)

المرور إلى شركة بورش (في لِيْل؟ آميين؟) وطلب وثيقة حول سيارة الكايين. الذهاب لرؤية جوني هاليداي(*) مرة في الأقل في حفلة موسيقية. قبل أن يموت.

بيجو 308 مع جي .بي .إس (جهاز تحديد مواقع) (؟؟؟)

أن يُقال لي إنني جميلة.

(*) جوني هاليداي، اسمه الحقيقي جون فيليب سميت، ولد بباريس في 15 حزيران/ يونيو 1943 مغني وملحن وممثل فرنسي بدأ مسيرته الفنية سنة 1960. يغني الروك والبلوز.

أوشكتُ أن أحظى بعشيق.

بالضبط بعد ولادة جسد ناديج الميت. عندما حطَّمَ جو أثاث المنزل وتوقَّف عن شرب ثماني أو تسع علب بيرة كل مساء، مسترخياً أمام تلفزيون الراديولا.

في تلك الأثناء أصبح شريراً.

وهو ثمل، كان يصبح بالضبط شخصاً مهماً. شخصاً هشّاً؛ كل ما تمقته امرأة عند رجل، الابتذال والأنانية وانعدام الضمير. لكنه كان يظل هادئاً. خضاراً. صلصة مجمدة.

لا، يا جو، إن الزهد هو الذي جعله فظاً. عزوتُ الأمر في البداية إلى فطامه عن الشرب. كان قد استبدل علب البيرة الصغيرة بالتورتيل المضاعف. كأنه كان يريد أن يشربها كلها حتى يجد نسبة الكحول الشهيرة التي يفترض أن تحتويها بحسب البيانات الصغيرة على اللصاقة، وحتى يجد من جديد النشوة التي يفتقدها. لكن لم يكن يوجد في قاع الزجاجات وفي قرارة نفسه إلا هذا الأذى. وهذه الكلمات الفاسدة في فمه: إن جسدك البدين هو الذي خنق ناديج. في كل مرة تجلسين فيها، كنت تخنقينها. ماتت صغيرتي لأنك لم

تعتنِ بنفسك. جسدك يا مسكينتي جو هو حاوية قمامة كبيرة قذرة. خنزيرة. أنت خنزيرة. خنزيرة عاهرة.

تَحَمَّلْتُ الكثير من الإهانات.

لم أكن أردّ. كنت أقول في سري إنه يتألم على نحو فظيع. وأن موت ابنتنا الصغيرة جعله مجنوناً وأنه يوجه هذا الجنون نحوي. كانت سنة سوداء؛ كنت أنهض في الليل لأبكي في غرفة نادين التي تنام وقبضتاها مضمومتان. لم أكن أريده أن يسمعني، وأن يرى الألم الذي يسبِّبه لي. لم أكن أرغب بهذا الخزي. خطر ببالي مئة مرة أن أفرّ مع الطفلين وقلت لنفسي إن هذا سيمضي. وإن ألمه سيخف، ويتوارى؛ وسيغادرنا. ثمة مصائب ثقيلة إلى درجة تضطر المرء لتركها تغادر. لا يسعه الاحتفاظ بكل شيء ولا الإبقاء على كل شيء. كنتُ أمد ذراعي في الظلام، وأفتحهما آملة أن تأتي أمي لأضمها إليّ. كنتُ أصلي لكي يشعّ دفؤها عليّ؛ وكي لا تجرفني الظلمات. لكن النساء وحيدات دوماً في أذى الرجال.

وإذا لم أمُت في تلك الفترة، فذلك بسبب عبارة صغيرة تافهة. ثم بسبب الصوت الذي تلفّظ بها. ثم الفم الذي خرجت منه. ثم الوجه الوسيم الذي كان يبتسم عليه.

- دعيني أساعدك.

نيس، 1994

دفنّا جسد ناديج منذ ثمانية أشهر. نعشٌ أبيض مبرنق مخيف. حمامتان من الغرانيت توشكان أن تطيرا على شاهدة القبر. كنتُ قد تقيأت، ولم أتحمل. وصفَ الدكتور كارتون الأب أدوية. ثم الراحة. ثم الهواء النقي.

كنتُ قد قلت للدكتور كارون الأب أنني لم أعد أحتمل قسوة جو. قلتُ الكلمات التي لم أتلفظها قط. نقاط ضعفي؛ مخاوفي كامرأة. تلفظتُ برعبي. شعرتُ بالخجل، كنتُ متجمِّدة، متحجرة. بكيتُ وسال لعابي، واحتضنني بين ذراعيه العظيمتين العجوزين؛ كلّابَيْه.

كنتُ قد بكيت من نفور زوجي. وجرحتُ جسدي القاتل؛ فرَسَمَ رأسُ سكين مخصص للَّحم صرخاتٍ على ساعدي؛ ولَطَّخْتُ وجهي بدمي الآثم. كنت قد أصبحتُ مجنونة. كانت قسوة جو قد استهلكتني واستنفدت قواي. كنتُ قد قطعتُ لساني لأجعله يخرس، وسددتُ أذني حتى لا أعود أسمعه.

لذلك، حين قال الدكتور كارون الأب لي، بلهاثه الخبيث،

سأرسلكِ في نقاهة لوحدك لمدة ثلاثة أسابيع، سأنقذكِ يا جوسلين، حَمل لهاته الخبيث الضوء.

وغادرتُ.

إلى نيس، مركز سانت-جينيفييف. كانت الأخوات الدومينيكان ساحرات. وعند رؤية ابتساماتهن، يحسب المرء أنه ما من رعب إنساني لا يسعهن تحسّسه، وبالتالي غفرانه. كانت وجوههن مضيئة، كوجوه القديسات على الرسوم الصغيرة في كتب القداس إبان طفولتنا.

كنت أشترك في غرفة مع امرأة في سن أمي. وكنت، أنا وهي، كما تقول الأخوات، معذبتان قليلاً. كنا بحاجة إلى الراحة. بحاجة إلى العثور على نفسينا. وإعادة اكتشاف نفسينا. بحاجة إلى أن نعيد الاعتبار لنفسينا من جديد. وإلى التصالح مع نفسينا أخيراً. كانت حالتنا كمعذبتين **قليلاً** تسمح لنا بالخروج.

وفي كل يوم، ما بعد الظهر، بعد القيلولة. كنتُ أتمشى حتى الشاطئ.

شاطئٌ متعب، مفروش بالحصى. ولولا وجود البحر لأمكن القول إنها أرض بور صغيرة. وبينما أنا هناك، أنظر إلى الماء، تلهبُ الشمس ظهري. فأضع المرهم. ذراعاي أقصر مما ينبغي.

- دعيني أساعدك

يثبُ قلبي. ألتفت.

إنه جالس على بعد مترين مني. يرتدي قميصاً أبيض وبنطالاً رمادياً فاتح اللون. قدماه عاريتان. لا أرى عينيه بسبب النظارات السوداء. أرى فمه. شفتاه بلون ثمرة خرجت منها للتو كلمات

جريئة. تبتسمان. عندئذٍ، تطفو على السطح الفطنة الموروثة لجميع النسوة اللاتي توجّهن إلي:

- لم أعتد على هذا

- من لم يعتد؟ أنا من يريد مساعدتك أم أنتِ، هل توافقين؟

يا إلهي، أحمر خجلاً. ألتقطُ قميصي وأغطي به كتفي.

- كنتُ على وشك أن أغادر على أي حال

- قال، وأنا أيضاً.

لا نتحرك. يخفق قلبي. إنه وسيم وأنا لست جميلة. إنه مقتنص. صعب المراس. نموذج قذر، أنا متأكدة من ذلك. لا أحد يخاطبكم هكذا في آراس. لا أحد يتجرأ أن يكلمكِ دون أن يسألكِ أولاً إن كنتِ متزوجة. وعلى أي حال، إن كنتِ مرتبطة بشخص ما. أما هو فلا. يدخل دون أن يستأذن. يضرب الباب بكتفه أو يرفسه بقدمه. وأحب هذا. أنهض. فيهب واقفاً. يمد إلي ذراعه. وأستند إليها. تحسّ أصابعي بدفء بشرته المسفوعة بالشمس. ترك عليها الملح تشطيبات من بياض قذر. نترك الشاطئ ونمشي على برموناد ديزانغلز. لا يكاد يفصل بيننا متر واحد. وبعد ذلك، عندما نصبح في مواجهة بيغريسكو، تُمسكُ يده مرفقي؛ ويساعدني على اجتيازها، كما لو أنني عمياء. أحب هذا الدُوَار. أغمض عيني لوقت طويل، وأنا مستسلمة تماماً لإرادته. ندخل إلى الفندق فيخفق قلبي. أفقد صوابي. ماذا دهاني؟ هل سأضاجع مجهولاً؟ إنني مجنونة. لكن ابتسامته تطمئنني. ثم صوته.

- هيا، سأقدم لك الشاي.

طلب كأس شاي أورانج بيكو.

- إنه شاي خفيف، أصله من سيلان، من الممتع شربه بعد الظهر. هل سبق وذهبتِ إلى سيلان؟ أضحك. أخفض بصري كأنني فتاة طائشة في الخامسة عشر من عمرها.

- إنها جزيرة في المحيط الهندي، على مسافة أقل من خمسين كيلومتراً من الهند. أصبحت سيرلانكا في عام 1962، عندما. . .

أقاطعه.

- لماذا تفعل هذا؟

يضع كأس شاي أورانج بيكو بخفة. ثم يحتضن وجهي بيديه.

- شاهدتكِ من الخلف على الشاطئ، منذ قليل وأثارتني وحدة جسدك.

- إنه وسيم. مثل فيتوريو غاسمان[*] في فيلم **عطر امرأة**[**]

عندئذٍ أمدّ وجهي نحو وجهه، وتبحث شفتاي عن شفتيه، وتجدهما. إنها قبلة نادرة، غير متوقعة؛ قبلة دافئة بنكهة المحيط الهندي. إنها القبلة التي تدوم، قبلة تقول كل شيء؛ إخفاقاتي ورغباته، ومعاناتي ونفاد صبره. قبلتنا هي نشوتي؛ ثأري؛ إنها كل

(*) فيتوريو غاسمان (Vittorio Gassman): ممثل ومخرج إيطالي، أنهى دراسته في الأكاديمية الوطنية للفنون المسرحية في روما، وبدأ العمل المسرحي في ميلانو عام 1943 مع فرقة (ألدا بوريللي) A. Borelli بعد أن نجح نجاحاً ملحوظاً على خشبة المسرح. انتقل عام 1946 إلى العمل في السينما بفيلم **بادرة حب** *Preludio d amore*، ثم بفيلم **دانيدلي كورتس** *D. Cortis* (1947) للمخرج ماريو سولداتي (M. Soldati).

(**) في عام 1975 نال الممثل الكوميدي الإيطالي (فيتوريو غاسمان) جائزة أفضل ممثل في مهرجان كان السينمائي عن الفيلم الإيطالي **عطر امرأة** وقام بذلك الدور، دور الرجل الأعمى!

القبل التي لم أحظَ بها، قبلة فابيان ديروم في المرحلة الإعدادية، وقبلة مراقصي الخجول على أنغام «الصيف الهندي» وقبلة فيليب دوغوميزون الذي لم أتجرأ قط على مخاطبته، وقُبَلُ سولال، الأمير الساحر، وجوني ديب وكيفن كوستنر قبل زرع الأسنان، وكل القبل التي تحلم بها الفتيات؛ كل القبل السابقة على جوسلن غيربيت.

أدفع برفق الشخص المجهول.

أهمس.

- لا.

لا يلح.

إذا استطاع أن يقرأ روحي من النظر فقط إلى ظهري، فهو يعرف الآن وهو يرى عيني خوفي من نفسي.

إنني امرأة وفية. وسوءُ جو ليس مبرراً كافياً. ووحدتي ليست مبرراً كافياً.

عدتُ في اليوم التالي إلى آراس. كان غضب جو قد زال. وكان الأطفال قد أعدوا فطائر الجبن واستأجروا فيلم **لحن السعادة**(*).

لكن لا يحدث شيء البتة بمثل هذه البساطة.

(*) **لحن السعادة**: فيلم موسيقي للمخرج الأميركي روبرت إيرل وايز ولد في 10 أيلول/ سبتمبر 1914 وتوفي في 14 أيلول/ سبتمبر 2005، فاز مرتين بجائزة أوسكار لأفضل مخرج وأفضل فيلم نظير فيلم **قصة الجانب الغربي** 1961 وفيلم **صوت الموسيقى** 1965 وتم ترشيحه لجائزة أفضل مؤلف نظير فيلم **المواطن كين** 1941، وجائزة أفضل فيلم نظير فيلم **الرمال الحصى** عام (1966).

منذ أن نُشِرَتْ المقالة في **أوبزيرفاتور دو لاراجوا**، انتشر الجنون.

لم يفرغ حانوت الخياطة من الزبائن. وسجل **الأصابع الذهبية العشرة** أحد عشر ألف زيارة يومياً. ولدينا أكثر من أربعين طلبية يومياً على موقع تسوقنا الصغير. أتلقى ثلاثين سيرة ذاتية كل صباح. الهاتف لا يتوقف عن الرنين. يطلبون مني تشجيع ورشات الخياطة في المدارس. والتطريز في المشافي. وهناك مأوى يرجو أن أعطي دروساً في الحياكة، وأشياء بسيطة، كالأوشحة والجوارب. وقسم أمراض سرطان الأطفال في مركز استشفائي يطلب مني قلنسوات مرحة. وأحياناً قفازات بإصبعين أو ثلاثة أصابع. تزخر مادو بالنشاط، تذهب إلى شركة بروسوفت وحين أقلق عليها تجيبني بضحكة عصبية تشوِّه فمها، إذا توقفتُ يا جو، أسقط، وإذا سقطت يسقط كل شيء لذلك لا توقفيني، ادفعيني، ادفعيني يا جو، أرجوك. تعدني أن تذهب لرؤية الدكتور كارون، وأن تأكل الكثير من السلمون، وأن تصمد. وفي المساء، يتلو عليَّ جو قواعد الأمن الغذائي، ومبدأ سلسلة التبريد الذي لا بد من معرفته لامتحان منصب معاون مدير العمال. «**الأغذية المجمدة**» **هي الأغذية التي تخضع**

لعملية تدعى «التجميد» وبواسطتها تُخْتَرق منطقة التبلر العظمى بسرعة، حسب الضرورة، وتُصان درجة حرارة المنتج - بعد التثبيت الحراري - باستمرار عند القيم الأدنى أو المساوية للدرجة ناقص 18 درجة. ويجب إجراء التجميد دون تأخير على منتجات ذات نوعية صحية وسليمة وتجارية بواسطة تجهيزات تقنية مناسبة. الهواء، الآزوت وثاني أوكسيد الكربون المحقِّقين لمعايير النقاء والنوعية، مسموحٌ بها كسوائل للتبريد.

إنه تلميذ جذاب، لا يثور أبداً، إلا ضد نفسه. أشجعه. ستحقق يوماً أحلامك يا عزيزي جو، فيحتضن يدي ويرفعها إلى شفتيه ويقول سيكون هذا بفضلك يا جو، بفضلك، وهذا يجعلني أحمر خجلاً.

يا إلهي، لو تعرف. لو تعرف، كيف سيصير حالك؟

طلبت مني الأختان التوأمان أن أصنع لهما أساور صغيرة ذات أربطة شمعية لبيعها في صالونهم. تقول فرانسواز، في كل مرة نشذِّب فيها أظافرنا يحدث أن نبيع دمية، وتضيف دانييل بينما لكِ أن تتخيلي أساور «من عند جو»، بعد مقالك في **الأوبزيرفاتور**، ستباع مثل أرغفة خبز صغيرة. أصنعُ لهما عشرين سواراً. بيعت كلها في المساء نفسه. قالتا، بهذا الحظ الذي يلازمك، عليك أن تلعبي اللوتو. أضحك معهما، لكنني خائفة.

هذا المساء، دعوتهما إلى العشاء في المنزل.

جو ساحر وظريف وخدوم طيلة السهرة. اصطحبت الأختان التوأمان معهما زجاجتا فوف كليكوت. تطلق فقاعات النبيذ ألسنتنا عندما تنفجر في فمنا. جميعنا ثملون على نحو لطيف. وفي الثمل، المخاوف والآمال هي التي تطفو دوماً على السطح.

تقول دانييل، سأبلغ الأربعين من العمر، وإن لم أقابل شخصاً هذا العام، فهذه لعنة. تحدد فرانسواز، شخصان. نضحك. لكن هذا ليس مضحكاً. لعلّ قدرنا أن نبقى سوية، مثل التوائم السيامية. يسأل جو، وهل جرَّبتم مواقع العازبين على الإنترنت؟ بالتأكيد. ولم نصادف إلا المهووسين. ما إن يعرفون أننا أختان توأمان، حتى يرغبون بتوزيع القبلات على ثلاثة. تثير الأختان التوأمان الرجال، ويعتقدون فجأة أنهم سيحظون بلسعتين. يخاطر جو، وهل ستفترقان؟ تصرخان معاً قبل أن تتأبطّا ذراعي بعضهما، بالموت فقط. تمتلئ الأقداح وتفرغ. ذات يوم، سنربح مبلغاً كبيراً وسنرسل إلى هؤلاء المساكين كل الغائط. سنستأجر فتياناً عشاقاً، هو ذاك، فتياناً عشاقاً، أشخاصاً مناديل، هيا، قف! وإلى حاوية القمامة بعد الاستعمال، قف! التالي! وتنفجران ضاحكتين. ينظر جو إليّ ويبتسم. عيناه تلمعان. تحت الطاولة، تستقر قدمي فوق قدمه.

سأشتاق إلى جو.

غداً صباحاً، سيغادر لمدة أسبوع إلى مركز مجموعة نسلة في فيفي بسويسرا لينهي تدريبه على منصب معاون مدير العمال ويصبح مسؤول وحدة عند هايغن-داز.

عند عودته سنذهب لنقضي عطلة نهاية الأسبوع في كاب غريز-ني احتفالاً بذلك. تعاهدنا أن نتناول محاراً وطبق ثمار البحر. حجزَ غرفة واسعة في مزرعة فارانغزيل، على بعد خمسمئة متر تقريباً من البحر ومن آلاف الطيور العابرة نحو سماوات أكثر اعتدالاً. إنني فخورة به. سيكسب ثلاثة آلاف أورو في الشهر، وسيستفيد من الآن فصاعداً من نظام الأقساط ومن أفضل تأمين صحي.

يقترب حبيبي جو من أحلامه. يقترب من الحقيقة.

وأنتَ يا جوسلن، تسأل دانييل فجأة زوجي، بأسلوب دبق لطيف بسبب النبيذ، ألم تنسق قط للاستيهام بامرأتين؟ ضحكات. أمتصُّ رغم كل شيء الصدمة، مراعاة للقواعد. يضع جو كأسه. يجيب، مع جو، أشعر بالامتلاء؛ إنها شرهة إلى حدّ أنها تبدو كأنها اثنتين. تنفجر الضحكات من جديد. أضربه على ذراعه، لا تصغوا إليه، إنه لا يعرف ما يقول.

لكن النقاش ينحرف ويذكِّرني بالنقاشات التي أجريناها في الصيف في ظل أشجار الصنوبر بمخيم سورير، مع ج. ج، ماريل روسيل وميشيل هينريون، عندما أفقدتنا الحرارة وشراب الباستي معاً رشدنا وأخذنا نتحدث بلا حياء عن حسراتنا ومخاوفنا وإخفاقاتنا. قالت ميشيل هينريون بابتسامة حزينة الصيف الماضي، يجب أن أحصل على أجمل مجموعة من الأعضاء الذكرية الاصطناعية؛ على الأقل لا تترككم بعد القبل، ولا ترتخي، أضاف جو في ثمله. ومع الوقت، نعرف جميعاً أن الجنسانية هي بترٌ للرغبة. لذلك نحاول إيقاظها، وإثارتها بوقاحات وتجارب جديدة. في الأشهر التي أعقبت عودتي من العلاج في نيس في مركز سانت-جينيفييف، تلاشت رغباتنا. استبدلها جو بالفظاظة. كان يحب أن يضاجعني بسرعة، وكان يؤلمني، كان يلوطني في كل مرة؛ وكنت أكره ذلك، وأعضّ شفتي حتى يسيل الدم لكي لا يعوي ألمي؛ لكن جو لم يكن يصغي إلا لمتعته ولمنيه المقذوف، كان ينسحب من مؤخرتي بحيوية، يرفع سرواله ويختفي في المنزل أو الحديقة مع زجاجة بيرة غير كحولية.

تغادر الأختان التوأمان وهما ثملتان وتغرق فرانسواز في

الضحك إلى حدّ أنها تبولت قليلاً في سروالها الداخلي. أظلّ أنا وجو وحيدين. كان المطبخ وصالة الطعام يشبهان ميدان معركة. تأخر الوقت. أقول، سأرتب المنزل، اخلد إلى النوم، ستغادر غداً باكراً.

عندئذٍ يقترب مني ويحتضنني فجأة بين ذراعيه؛ ويضمني إليه. بكل قوته. صوته عذب في أذني. يهمس، شكراً يا حبيبتي جو. شكراً على كل ما فعلته. أتورّد؛ ولحسن الحظ لا يرى ذلك. أقول، أنا فخورة بك، هيا، أسرع، ستكون تعباً غداً.

يأتي نائب مدير المصنع للبحث عنه في الساعة الرابعة والنصف من صباح الغد. سأعدّ لك ترمس القهوة. ثم ينظر إليّ. ثمة شيء من الحزن العذب في عينيه. تقترب شفتاه وتستقران على شفتي، تنفرجان بلطف، لسانه يندسّ، مثل أفعى؛ إنها قبلة ذات عذوبة نادرة، مثل القبلة الأولى.

أو الأخيرة.

لائحة حماقاتي (مع ثمانية عشر مليوناً في المصرف).

إيقاف حانوت الخياطة ومتابعة دراستي الأسلوبية.

سيارة بورش كايين.

منزل على البحر. لا.

شقة في لندن لنادين.

إجراء عملية تكبير للثدي 90 س، نحفت. (لا لا لا. هل جننت أم ماذا؟!! بالضبط، هذه اللائحة:-)

كثير من الأشياء من عند شانيل. لا.

ممرضة بدوام كامل من أجل أبي (محادثة جديدة كل ست دقائق!!!)

بعض المال الجانبي لرومان. (سينتهي إلى السوء.)

سافر جو منذ يومين.

عدت لرؤية أبي. أكلِّمه من جديد عن ملاييني الثمانية عشر، وعذابي. لا يصدق أذنيه. يهنئني. ماذا ستفعلين بكل هذا يا عزيزتي؟ لا أدري يا أبي، إنني خائفة. وما رأي أمك بذلك؟ لم أحدثها بعد بالأمر يا أبي. تعالي، اقتربي يا صغيرتي، قولي لي كل شيء. أقول بصوت متهدج، أنا وجو سعيدان. عشنا اليسر والعسر مثل جميع الأزواج، لكننا نجحنا في التغلب على كثير من الأشياء السيئة. لدينا طفلان جميلان، ومنزل جميل، وأصدقاء، ونذهب في إجازة سنوية مرتين في العام. حانوت الخياطة يسير على ما يرام. وموقع الإنترنت يتطور، نحن الآن ثمانية. وخلال أسبوع، سيصبح جو نائب رئيس العمال ومسؤول وحدة في المصنع وسيشتري شاشة مسطحة للصالون وسيطلب قرضاً من أجل سيارة أحلامه. هذا هش، لكن لا بأس به، إنني سعيدة. يهمس أبي، إنني فخور بك، وهو يحتضن يدي بيده. وهذه النقود يا أبي، أخشى أن. . . يسألني فجأة، من أنتِ؟

الدقائق الست العاهرة.

إنني ابنتك يا أبي. إنني مشتاقة إليك. مشتاقة إلى دلالك. إلى

ضجيج الدوش عندما كنت تعود إلى المنزل. مشتاقة إلى أمي. مشتاقة إلى طفولتي. من أنتِ؟

أنا ابنتك يا أبي. أنا بائعة أدوات الخياطة، أبيع أزرار السراويل والسحابات لأنك أصبحت مريضاً ولأنه ينبغي أن أعتني بك. لأن أمي ماتت على الرصيف حين كنا نتأهب للتسوق. لأنني لستُ محظوظة. لأنني كنت أريد تقبيل فابيان ديروم ولأن هذا المتحذلق مارك جان روبير واسكتشاته المخصَّصة لإثارة الحماسة في قلوب الفتيات، والمكتوبة على أوراق ذات مربعات، هو من حطِيَ بقبلتي الأولى. من أنتِ؟

أنا ابنتك يا أبي. ابنتك الوحيدة. طفلتك الوحيدة. كبرتُ وأنا أنتظرك وأرى أمي ترسم العالم. كبرتُ في الخوف من ألا أكون جميلة في نظرك، ولا ساحرة مثل أمي، ولا متألقة مثلك. حلمتُ أن أصمم وأبتكر أثواباً، وأن أجعل كل النساء جميلات. حلمتُ بسولال (Solal)، الفارس الأبيض، حلمتُ بقصة حب مطلقة؛ حلمت بالبراءة، وبالفراديس المفقودة، وببحيرات مرجانية؛ حلمتُ أن لدي أجنحة؛ حلمت أنني محبوبة لذاتي دون الحاجة إلى أن أكون بشوشة. من أنتِ؟

أنا فتاة التنظيف يا سيدي. جئتِ لأرى إن كان كل شيء على ما يرام في غرفتك. سأنظف حمامك، كما في كل يوم، وأفرغ سلة القمامة، وأبدل كيس النايلون وأمسح برازك.

شكراً يا آنسة، أنت رائعة.

أعيد في المنزل قراءة لائحة احتياجاتي ويبدو لي أن الغنى هو القدرة على شراء كل ما ورد فيها دفعة واحدة، من قشارة البطاطا والفاكهة حتى الشاشة المسطحة، مروراً بالمعطف من عند كارول والحصيرة المانعة للانزلاق في الحمام. والعودة بكل الأشياء الواردة في اللائحة، وتمزيق اللائحة والقول إن الأمر تمّ، لم يعد لدي احتياجات. لم يعد لدي إلا رغبات بعد الآن. فقط رغبات.

لكن هذا لا يحدث البتة.

لأن احتياجاتنا هي أحلامنا الصغيرة اليومية، هي أشياؤنا الصغيرة الواجب فعلها، التي تقذفنا إلى الغد، إلى ما بعد الظهر، إلى المستقبل؛ هي الأشياء الصغيرة التافهة التي سنشتريها في الأسبوع القادم وستتيح لنا التفكير بأننا سنكون أحياء أيضاً في الأسبوع القادم.

هذه الحاجة إلى حصيرة حمام مانعة للانزلاق هي التي تُبقينا على قيد الحياة. أو الحاجة إلى الكسكس. إلى أداة التقشير. لذلك يتفاخر المرء بمشترياته. يبرمج الأمكنة التي سيزورها. يقارن أحياناً. مكواة كالور مقابل مكواة روانتا. يملأ الخزائن ببطء، والأدراج واحداً تلو الآخر. يمضي حياته يملأ المنزل؛ وحين يغصّ، يكسر

الأشياء كي يستطيع استبدالها، كي يغدو لديه شيء ما للعمل في اليوم التالي. ويذهب حتى إلى تحطيم زواجه كي يُلقي بنفسه في قصة أخرى، ومستقبل آخر، ومنزل آخر.

وحياة أخرى عليه أن يملأها.

ذهبتُ عند برونيه، شارع غامبيتا، واشتريتُ منه **حسناء السنيور**. أستغل الأمسيات دون جو لأعيد قراءته. لكنه مرعبٌ هذه المرة ما دمت بعد الآن أعرف. آريان دوم تستحمّ، تناجي نفسها، تحضر نفسها وأعرف مسبقاً بسقوطها في مدينة جنيف. أعرف الانتصار المرعب للسأم على الرغبة؛ لصوت طرادة الماء على الشغف، لكن لا يسعني أن أمنع نفسي عن تخيل ذلك أيضاً. يجتاحني التعب في قلب الليل. فأستيقظ منهكة، حالمة، عاشقة.

حتى جاء هذا الصباح.

حيث انهار كل شيء.

لم أصرخ.

لم أبكِ. ولم أضرب الجدران. ولم أنتف شعري. ولم أحطم كل شيء من حولي. لم أتقيأ ولم يُغْمَ علي. وحتى لم أشعر بقلبي يخفق ولا بوعكة تحدث.

جلستُ رغم كل شيء على السرير، وبقيت على هذه الحال.

نظرتُ حولي. إلى غرفتنا.

الإطارات الذهبية مع صور الأطفال، في جميع مراحل العمر. صورة زواجنا، على الطاولة عند رأس جو. صورة بورتريه لي، رسمتها أمي، بجانب سريري؛ كانت قد رسمتها خلال بضعة ثوان على فاصلة قرمزية بما بقي لديها من إكلريك أزرق على فُرْشَاتها؛ وقالت، هذه أنتِ تقرئين.

بقي قلبي هادئاً. لم ترتعش يداي.

انحنيت لألتقط القميص الذي تركته ينزلق على الأرض. وضعته قربي على السرير. كانت أصابعي قد دعكته قبل أن تفلته. سأكويه بعد قليل. كنت قد اضطررت للإصغاء إلى نفسي واشتريت مكواة

بخار كالور شاهدتها عند أوشان بثلاثمئة أورو وتسعة وتسعين سنتيماً في البند السابع والعشرين من لائحة احتياجاتي.

عندئذٍ أخذت أضحك. أضحك من نفسي.

كنت أعرف ذلك.

غبار الجص على حذائي هو الذي أكد لي الأمر حتى قبل أن أنظر.

كان جو قد أصلح قضيب خزانة الأحذية لكنه في الأخص، كان قد ثبَّتها على الحائط لأنها كانت توشك على السقوط منذ بعض الوقت. لذلك حفر ثقبين كبيرين في عمق الخزانة، ومثلهما في الحائط وهو ما كان يفسر غبار الجص في الخزانة وعلى أحذيتي.

وعندما ثبت خزانة الأحذية، أراد بلا شك أن ينظف الغبار الناعم عن أحذيتي وعندئذٍ وجد الشيك.

متى؟

متى وجده؟ منذ متى كان يعرف؟

هل كان ذلك قبل عودتي من باريس، حين جاء يبحث عني في المحطة؟ وحين همس في أذني أنه سعيد بعودتي؟

هل كان ذلك قبل الرحلة إلى توكيه؟ هل اصطحبني إليها وهو يعرف بالألم الذي يوشك أن يسببه لي؟ هل احتضن يدي على الشاطئ وهو يعرف مسبقاً أنه سيخونني؟ وعندما نذر هذه الأمنية بأن شيئاً لن يتغير وأن كل شيء سيستمر، ونحن نضرب قدحاً بقدح في

صالة المطعم، هل كان يسخر مني آنذاك؟ وهل كان يُحَضِّر لهربه من حياتنا؟

أم حدث ذلك فيما بعد، عند عودتنا؟

لم أتذكر اليوم الذي ثبت فيه خزانة الأحذية. لم أكن موجودة ولم يقل شيئاً. القذر. اللص.

بالتأكيد، هاتفتُ مركز شركة نسلة في فيفي.

لم يكن يوجد أحد باسم جوسلن غيربيت. ضَحِكتْ موظفة الاستقبال عندما أصريت، وعندما قلتُ لها إنه موجود عندهم لمدة أسبوع، في دورة تأهيل لمعاون رئيس عمال ومسؤول وحدة لصالح معملهم هايجن-داز في آراس، أجل، أجل، آراس يا سيدتي، في فرنسا، في باس دو كالي، المركز البريدي 62000. روى لك أي شيء يا سيدتي العزيزة؟ هنا مقرّ شركة نسلة ووردويد، هل تعتقدين أنهم يدربون فيها رئيس عمال أو أمين مستودع، هيا، هيا. أخبري الشرطة إن شئت، اسألي إن لم تكن لديه عشيقة. لكن صدقيني يا سيدتي، إنه ليس هنا. ولا بد أنها شعرت أنني كنت فزعة قليلاً لأن صوتها رقّ بعد لحظة وأضافت قبل أن تغلق السماعة، إنني آسفة.

في المصنع، أكّد لي رئيس جو ما كنت أتوقعه.

كان قد قدّم إجازة لمدة أسبوع ولم يأتِ منذ أربعة أيام؛ وعليه أن يعود إلى العمل الاثنين القادم.

أنتِ تتكلمين. لن ترينه بعد يا جو. ولن يرى أحد بعد هذا القذر. طار العصفور حاملاً في جيبه ثمانية عشر مليوناً واختفى. حك حرف الياء من اسمي الأول وأصبح الشيك فجأة باسمه.

جوسلين بدون ياء. جوسلن غيربيت. وفي أربعة أيام، لديه الوقت للذهاب إلى أقصى البرازيل، إلى كندا. إلى أفريقيا. وإلى السويد ربما. ثمانية عشر مليوناً، إنها تصنع مسافة بينكم وبين من هجركم.

مسافة محترمة يستحيل عبورها.

أتذكّر قبلتنا قبل خمسة أيام. كنت أعرف ذلك. كانت قبلة أخيرة. النساء يحدسن دوماً بهذه الأشياء. هذه موهبتنا. لكنني لم أكن أصغي لنفسي. لعبت بالنار. أردتُ أن أصدِّق بأنني أنا وجو معاً إلى الأبد. تركتُ لسانه يداعب لساني بعذوبة لا تصدّق دون أن أتجرأ في ذلك المساء على ترك خوفي يتكلم.

اعتقدتُ أنه بعد أن نجا من الحزن غير المحتمل لموت ابنتنا الصغيرة، وبعد البيرة الرديئة، والشتائم، والقسوة والإهانات، والحبّ الفظ، الحيواني، أصبحنا وحدة لا تنفصم عراها وأصدقاء.

لذلك أرعبتني هذه النقود.

لذلك أَسْكَتُّ ما لا يمكن تصديقه في داخلي. كابح الهستيريا. لذلك لم أرغب بها في الحقيقة. كنت قد فكّرت أنني لو قدمت له سيارة كايين، لانطلق بها، ولسافر بعيداً، بسرعة، ولما عاد ثانية. فتحقيق أحلام الآخرين هو مجازفة بهدمها. كان عليه أن يشتري سيارة بنفسه. باسم اعتزازه. باسم زهوه البائس كرجل.

لم أكن مخطئة. حدستُ بأن هذا المال سيكون تهديداً لكلينا. وكان ناراً وسديماً متوهجاً.

كنت أعرف، حتى بالنسبة إلى جسدي، أنّ هذه النقود يمكن أن تفيدني، لكنها يمكن أن تؤذيني أيضاً.

كانت ديزي دوك محقّةً. **الجشع يحرق كل شيء في طريقه.**

كنت أعتقد أن حبي كان حاجزاً. سداً منيعاً ولم أتجرأ على تخيل جو، حبيبي جو، يسرقني ويخونني ويهجرني.

ويدمِّر حياتي.

لأنه في نهاية المطاف، ماذا كانت حياتي؟

طفولة سعيدة - امتدت حتى أواسط سن السابعة عشر، حتى صرخة أمي وبعدها بعام، الجلطة الدماغية لأبي وتعجباته الطفولية كل ست دقائق.

مئات الرسوم واللوحات تروي الأيام المدهشة؛ النزهة الجماعية إلى قصور اللوار شامبور عندما سقطتُ في الماء وغطسَ أبي وَسادَة آخرون لإنقاذي. رسوم أيضاً؛ رسوم ذاتية لأمي تظهر فيها جميلة، بعينيها اللتين لا يبدو أن أيّ ألم مرّ عليهما. ولوحة للمنزل الكبير الذي ولدتُ فيه، في فالانسيين، لكنني لا أتذكره.

سنواتي في المرحلة الثانوية بسيطة ولطيفة. حتى **القبلة المفوتة** لفابيان ديروم كانت في الحقيقة نعمة. علَّمتني أنّ القبيحات يحلمن أيضاً بالوسيمين، لكن بينهن وبينهم توجد كل جميلات العالم، كجبال يتعذّر اجتيازها. لذلك سعيت لرؤية الجمال هناك حيث صار يمكن أن يختبئ بعد الآن بالنسبة لي: في اللطف والصدق والرقة، وكان هذا جو. جو وحنانه الفظ اللذان سحرا قلبي وتزوجا جسدي وجعلا مني امرأته. بقيت دوماً وفية لجو؛ حتى أيام العذاب، حتى في الليالي العاصفة. كنت أحبه رغماً عنه، رغم السوء الذي شوّه

قسماته وجعله يقول أشياء مرعبة جداً عندما ماتت ناديج على عتبة بطني، كما لو أنها وضعت أنفها خارجاً وتنشقت الهواء وتذوقت العالم وقررت أنه لم يعجبها.

كان طفلاي الحيان وملاكنا الصغير هم فرحي وحزني؛ ولا أزال أخشى على رومان أحياناً لكنني أعرف أنه سَيُجْرَح يوماً وأن أحداً لن يضمّد جراحه، وسيعود إلى هنا. إلى أحضاني.

كنت أحب حياتي. كنت أحب الحياة التي بنيناها أنا وجو. كنت أحب طريقة صنعه للأشياء المتواضعة التي أصبحت جميلة في عيوننا. كنت أحب منزلنا البسيط، المريح، الودي. كنت أحب حديقتنا، مزروعاتنا البقولية المتواضعة وأغصان البندورة البائسة التي تمنحها لنا. كنت أحب أن أعزق الأرض المتجمدة مع زوجي. كنت أحب أحلامنا بالربيع القادم. كنت أنتظر بحماسةِ أمٍّ شابة أن أصبح يوماً جدة؛ كنت أتدرب على إعداد الكاتو الوفير والفطائر الشهية والشوكولا الكثيفة. كنت أرغب من جديد بروائح الطفولة في منزلنا، وبصور أخرى على جدراننا.

سأجهز ذات يوم غرفة لأبي في الطابق الأرضي، وسأهتم به وسأكتشف مجدداً حياتي كل ست دقائق.

كنت أحب الآلاف من شخصيات أيزولت(*) (Iseult) على

(*) قصة حب تريستان وأيزولت. كانت أيزولت بنت ملك إيرلندا، مخطوبة لملك كورنوول، وكان تريستان ابن أخت الملك الموكل بإحضار خطيبته إليه، في الطريق وقع تريستان وأيزولت في الغرام، وحين اكتشف الملك العلاقة، سامح أيزولت ونفى تريستان إلى بريطانيا، وهناك التقى تريستان بأيزيلت ووقع في حبها لتشابه اسمها مع اسم عشيقته.. وحين مرض =

موقعي الأصابع الذهبية العشرة. كنت أحب لطفهن وهدوءهن وقدرتهن، مثل نهر؛ متجدِّد كحبّ أم. كنت أحب هذه الطائفة من النساء، وجراحنا، وقوتنا.

كنت أحب بعمق حياتي وعرفت من الوهلة الأولى التي ربحت فيها أن هذه النقود ستفسدها، وفي سبيل ماذا؟

في سبيل بقوليات أكبر؟ بندورة أضخم وأكثر حمرة؟ تشكيلة جديدة من الكرمنتينا؟ في سبيل منزل أكبر وأفخم؛ وحوض حمام يؤمن الماء على شكل دوامات؟ في سبيل سيارة كايين؟ جولة حول العالم؟ ساعة ذهبية، مجوهرات؟ نهدين اصطناعيين؟ أنف مرمّم؟ لا، لا. ولا. كنتُ أحظى بما لا يمكن للنقود أن تشتريه لكنه دُمِّر تماماً.

السعادة

سعادتي على أي حال. سعادتي أنا. بأخطائها وتفاهاتها وصغائرها. لكنها سعادتي أنا.

فسيحة وملتهبة وفريدة.

لذلك كنت قد اتخذت قراري بعد عودتي من باريس مع الشيك ببضعة أيام: هذه النقود قررتُ إحراقها.

لكن الرجل الذي كنت أحبه سرقها.

= تريستان، كتب إلى أيزولت لتأتيه ليشفى، على أن ترسل سفناً بأشرعة بيضاء إن أتت، وسوداء إن رفضت، وصلت السفن البيضاء، وحين سأل تريستان زوجته عن لون الأشرعة، قالت أيزيلت إنها سوداء، وحضنته حتى مات همّاً وحزناً قبل أن تصل أيزولت إليه.

لم أقل شيئاً لأحد.

وللأختين التوأمين اللتين سألتا عن أخبار جو، أجبتُ أنه بقي بضعة أيام إضافية في سويسرا بناء على طلب نسلة.

كنت أتابع تلقي أخبار نادين. التقت فتى؛ أصهب جريئاً طويلاً، صانع رسوم متحركة يعمل على الإصدار القادم من فيلم **والاس وغروميت**[*] *(Wallas et Gromit)*. وقعتْ في الغرام بلطف، ابنتي الصغيرة، ولا تريد أن تستعجل شيئاً، كما كتبتْ لي في إيميلها الأخير، لأنه حين يحب المرء أحداً ويفقده، إذاً هو مخطئ. كانت كلماتها تخرج أخيراً. اغرورقت عيناي بالدموع. أجبتُها أن كل شيء هنا على ما يرام، وأنني سأبيع حانوت الخياطة (صحيح) وسأُفرِّغ نفسي للموقع (خطأ). لم أحدثها عن أبيها. عن الأذى الذي سببه لنا جميعاً. ووعدتها أن آتي لرؤيتها قريباً.

رومان، كعادته، لم يكن يفصح عن أخباره. عرفت أنه ترك مطعم الفطائر في إيرباج والفتاة وصار يعمل الآن في نادي فيديو في

(*) والاس وغروميتْ هما شخصيتا رسوم متحركة ابتكرهما نيك بارك وتحكي أفلامه عن مغامرة مخترع ودود أخرق عاشق للجبنة يدعى والاس وكلبه غروميت المتفاني الوفي ذو الذكاء الخارق.

ساسوناج. على الأرجح مع فتاة أخرى. تقول مادو، إنه صبي، والصبيان متوحشون، ويصعد الدمع في عينيها أيضاً لأنها فكرت بابنتها الكبيرة التي توشك أن تموت.

في المساء الثامن الذي مرّ على اختفاء جو وشيك الثمانية عشر مليون أورو، نظمتُ احتفالاً صغيراً في حانوت الخياطة. ازدحم الرصيف بالكثير من الناس. أعلنتُ أنني تركت حانوت الخياطة وقدمتُ مَن ستحلّ مكاني بعد الآن: تيريز ديكروك، والدة الصحفية في الأوبزيرفاتور دو لاراجواز. تيريز لقيتْ تصفيقاً حين أوضحتْ أنها لن تحلّ مكاني حقاً، لكنها «ستهتم بشؤون الحانوت ريثما أعود». وقلتُ للزبائن القلقين بدقة إنني قررتُ أنا وجو أن نأخذ عاماً للراحة. فطفلانا أصبحا كبيرين الآن. وهناك رحلات تعاهدنا على القيام بها عندما التقينا، بلاد يجب أن نزورها، ومدن علينا أن نتذوقها وقررنا أن الآوان قد حان لنأخذ فرصتنا. تقدموا مني وتأسفوا لغياب جو. سألوني عن المدن التي سنزورها والبلاد التي سنجتازها، وفي أي مناخ، ليقدموا لنا كنزة صوفية وزوج قفازات ومعطف بونشو؛ لقد غمرتنا بدلالك يا جو كل هذا الوقت، وجاء دورنا الآن.

في اليوم التالي، أغلقتُ المنزل. وتركت المفاتيح عند مادو. وقادتني الأختان التوأمان إلى أورلي.

- هل أنت واثقة مما تفعلينه يا جو؟

أجل. مئة مرة، ألف مرة أجل. أجل أنا واثقة من رغبتي بمغادرة آراس التي هجرني فيها جو. ومغادرة منزلنا وسريرنا. أعرف أنني لن أحتمل غيابه ولا روائح حضوره أيضاً. رائحة رغوة حلاقته، عطره، رائحة عرقه اللطيفة المتوارية في ثنايا ملابسه التي خلعها والرائحة الأكثر نفاذاً، في المرآب، حيث كان يحب ترميم قطع الآثاث الصغيرة؛ ورائحته اللاذعة في نشارة الخشب، العابقة في الهواء.

ترافقني الأختان التوأمان إلى أبعد ما يمكن. عيونهما تموج بالدمع. أحاول أن أبتسم.

فرانسواز هي من تحزر. وتتلفظ بما لا يمكن تصوره.

هجركِ جو، أليس كذلك؟ انطلق من أجل امرأة أكثر جمالاً وشباباً منك بعد أن أوشك أن يصبح معلماً ويتجول في سيارة كايين؟

عندئذٍ تنذرف دموعي. لا أعرف يا فرانسواز، رحل. يجب أن أكذب. أسكت عن الفخ، وعن اختبار الإغراء. صَدَّعَ مكسر الأمواج حبي. تحاول دانييل بصوت معسول، ربما حصل له شيء ما، مريح، لا يخطفون الناس في سويسرا؟ قرأتُ أنّ النقود تختفي

في القوائم المصرفية، وهذا يشبه إلى حدٍّ ما أفريقيا الآن. لا، يا دانييل، لم يُخْطَف، سرقني، اقتلعني وبترني ومسحني منه، هذا كل شيء. ولا تعرفين شيئاً عن مقصده يا جو؟ لا شيء. لا شيء لا شيء لا شيء. كما في فيلم رديء. يذهب صديقك في رحلة لأسبوع، وتعيدين قراءة **حسناء السنيور** في انتظاره؛ تضعين قناع التجميل، تدهنين شعرك، تزيلين شعر جسدك، تتدلكين بزيوت أساسية لتكوني في غاية الجمال وغاية الرقة عندما سيعود وفجأة، تعرفين أنه لن يعود. وكيف تعرفين ذلك يا جو، هل ترك لك رسالة، أو شيئاً ما؟ يجب أن أرحل. لا، وهذا هو الأسوأ، حتى ولا رسالة، مجرد لا شيء، مجرد فراغ كوكبي كئيب. تحتضنني فرانسواز بين ذراعيها. أهمس في أذنها لبرهة، أبوح لها برغباتي الأخيرة. توشوشني عندما انتهيت منها، اتصلي بنا عند وصولك. تضيف دانييل، ارتاحي جيداً. وإذا احتجتِ أن نأتي، سنأتي. أعبر نقطة المراقبة وألتفت.

لا تزالان هناك. تلوحان بأيديهما.

ثم اختفيت.

لم أرحل بعيداً جداً.

الطقس جميل في نيس. إنه ليس بعدُ فصلُ العطل السنوية، إنما هو بالضبط فترة ما بين فصلين. فترة نقاهة. أذهب كل يوم إلى الشاطئ، حين تلفحُ الشمسُ الظَهْرَ.

استعاد جسدي رشاقته كما كان قبل ولادة نادين وقبل البدانة التي خنقت ناديج. إنني جميلة كما كنت في سن العشرين.

وفي كل يوم، حتى عندما تكون الشمس واهنة، أضع المرهم على ظهري ولم تزل ذراعي أقصر مما ينبغي؛ في كل يوم، في هذه اللحظة بالتحديد، يخفق قلبي، وتستنفر أحاسيسي. تعلمتُ أن أقف منتصبة وأركِّز حركتي. لأمحو منها هذا الاعتراف بالعزلة. أدلكُ برفق كتفي وعنقي ولوحي الكتفين - تنزلق أصابعي، لكن دون وجل؛ أتذكر صوته وكلماته منذ سبع سنوات، حين جئتُ إلى هنا لأنقذ نفسي من قسوة جو.

دعيني أساعدك.

لكن الكلمات في ظهري اليوم هي كلمات ثرثارين عبر هواتفهم المحمولة، كلمات مراهقين يأتون إلى هنا ليدخِّنوا ويضحكوا بعد المدرسة. كلمات متعبة لأمهات شابات، وحيدات الآن، أطفالهن

الـرضَّـع فـي الـظـل فـي عـربـات، وأزواجـهـن طـاروا، ولـم يـعـودوا يلمسونهن؛ كلمات مالحة بطعم الدموع.

هكذا، عند انتصاف العصر، عندما أحصيت أربعين طائرة تقلع، أجمعُ أمتعتي وأصعد من جديد إلى الاستديو الذي استأجرته لبضعة أسابيع حين أصبحت قاتلة، في شارع أوغوست -رينوار خلف متحف الفنون الجميلة جيل شيري.

إنه استديو غير مطليٍّ بناؤه العائد إلى سنوات الخمسينيات، إلى فترة كان فيها معماريو كوت دازور يحلمون بميامي وبالموتيلات(*) والخطوط المنحنية؛ إلى فترة كانوا يحلمون فيها بالهرب. إنه إيجار مفروش. الأثاث لا ذوق فيه. إنه متين وهذا كل شيء. السرير يُصدر صريراً لكن بما أنني أنام عليه وحدي، فإنه لا يزعج أحداً غيري. ومن الـنـافـذة الـوحـيـدة، لا أرى الـبـحـر؛ أجفِّف عـلـيـهـا مـلابـسـي الداخلية. في المساء، يعبق برائحة الريح، رائحة الملح والوقود. في المساء، أتعشى وحيدة، وأشاهد التلفاز وحيدة وأظلّ وحيدة أثناء أرقي.

أبكي أيضاً في المساء.

عندما أعود من الشاطئ، آخذ دوشاً، كما كان أبي يفعل حين يصل إلى المنزل. لكن ليس للتخلص من رواسب مادة الغلوتار ألدهيد. إنما لأتخلص فقط من رواسب ألمي، خجلي وألمي. من أوهامي الضائعة.

أهيئ نفسي.

(*) الموتيلات: فنادق للعابرين.

في الأسابيع الأولى التي تلت اختفاء جو، عرجتُ إلى مركز سانت-جينيفييف. كانت الأخوات الدومينيكان قد اختفين هن أيضاً؛ مع ذلك، كانت الممرضات اللواتي حللن مكانهن في منتهى اللطف أيضاً.

بهجرانه لي، كان جو قد انتزع مني الضحك والفرح ونكهة الحياة.

مزَّقَ لائحة احتياجاتي ورغباتي وجنوني.

حرمني من تلك الأشياء الصغيرة التي تُبقينا في الحياة. القشّارة التي سأشتريها غداً من الليدل. مكواة كالور من أوشان في الأسبوع القادم. السجادة الصغيرة لغرفة نادين بعد شهر عندما تبدأ التنزيلات.

انتزعَ مني الرغبة في أن أكون جميلة، في أن أكون دلوعة وعاشقة ماهرة.

كان قد أنشب مخالبه، وشطب ذكرياتنا. وأفسد حتى الشاعرية البسيطة التي لا تعوّض لحياتنا. نزهتنا ويدانا متشابكتان على شاطئ توكيت. هستيريتنا عندما حَبَا رومان خطواته الأولى. عندما لفظت نادين للمرة الأولى كلمة **بيبي**(*) مشيرة إلى **بابا**. انفجارنا بالضحك بعد أن مارسنا الجنس في مخيم سورير. قلبانا اللذان يخفقان في اللحظة نفسها حين يظهر دوني دوكيت من جديد في عيني إيزي ستيفن في الحلقة الخامسة من **غرايز آناتومي**(**).

(*) بيبي: تعني بول بلغة الأطفال.

(**) غرايز أناتومي (بالإنجليزية: Grey's Anatomy **تشريح غراي**) مسلسل درامي طبي تلفزيوني أميركي من إنتاج هيئة الإذاعة الأميركية، عُرض لأول مرّة على أي بي سي في 27 آذار/ مارس 2005، بعد توقّف نصف الموسم =

بتخلّيه عني بعد أن سرقني، هدم جو كل شيء وراءه، لوَّث كل شيء. كنت قد أحببته. ولم يبق فيَّ شيء منه.

علمتني الممرضات من جديد برفق نكهة الأشياء. كما يعلِّمون أطفال المجاعات تناول الطعام ثانية. وكما يعلمكم الناس ثانية على الحياة في سن السابعة عشرة عندما تتبول أمكم الميتة أمام الجميع على الرصيف وكما يُعَلمون كيف يجد المرء الجمال في نفسه؛ كيف يكذب على نفسه ويغفر لها. مَسَحْنَ أفكاري السوداء، وأضأن كوابيسي. علمنني أن آخذ شهيقاً أعمق، في البطن، بعيداً عن القلب. أردتُ الموت. أردتُ الفرار من نفسي. لم أعد أرغب بشيء مما كان في حياتي. كنت قد استعرضت أسلحتي واحتفظت باثنين منها.

أن ألقي نفسي تحت قطار. أن أقطع أوردتي.

أن ألقي نفسي من جسر عند عبور قطار. لا يمكن أن أخطئ. ينفجر الجسد. يتمزق. يتشظى على مسافة كيلومترات. لن يوجد ألم. فقط أزيز الجسد الذي يهوي بسرعة وضجيج القطار المرعب؛ ثم ارتطام الأول الذي يلاقي الثاني.

قطع أوردة الذراع. لأن هناك شيئاً رومانتيكيّاً فيه. الحمَّام

= لمسلسل ربات البيوت المستميتات وعرض في 9 حلقات فقط.

يعتبر من المسلسلات الأعلى مشاهدة في الولايات المتحدة عند محطة أي بي سي [1] وقد حاز على العديد من الجوائز.

لقد عرض المسلسل في جميع أنحاء العالم ولاقى نجاحاً باهراً وعُرض 9 مواسم منه حتى الآن، من المقرر عرض الموسم العاشر في 26 كانون الأول/ ديسمبر، 2013.

والشموع والنبيذ. نوعٌ من الطقس الغرامي. مثل آريان دوم وهي تستحم استعداداً لاستقبال سنيورها. لأن ألم النصل على المعصم طفيف وجمالي. لأن الدم يتدفق، دافئاً، مسلياً ويرسم أزهاراً حمراء تتفتح في الماء وتخط آثار عطر. لأن المرء لا يموت حقاً. يغفو بالأحرى. ينزلق الجسد، ينضح الوجه ويغرق في مخمل أحمر سائل كثيف ومريح؛ بطن.

علمتني ممرضات المركز أن أقتل بالضبط ما كان قد قتلني.

ها هو هاربنا.

أصبح ضئيلاً جداً، تقلص. جبهته ملتصقة بزجاج نافذة القطار الذي يجري ويرسم بسرعته حقولاً انطباعية وماهرة. يولي ظهره للمسافرين الآخرين، كطفل حرد؛ ليس المقصود حرداً إنما خيانة، طعنة سكين.

كان قد عثر على الشيك. وانتظر أن تتكلم عنه. لهذا السبب اصطحبها إلى توكيت، لكن بلا جدوى. عندئذٍ، حزر نية جوسلين، وتوقَّع حاجتها إلى الهدوء، وحبها للأشياء التي تستمر. سرق النقود لأنه كانت على وشك أن تحرقها. أو تهبها للمصابين بتقلصات عضلية وسيلان اللعاب، لإصابات السرطان الخفيفة البراقة. كان يوجد من النقود ما لن يكسبه في ستمئة عام عند هايجن-داز. يزفر الآن الاشمئزاز الوليد في نفسه، والرعب المتفتح. تسأله جارته هامسة: هل أنت على ما يرام يا سيدي؟ يطمئنها بإيماءة متعبة. زجاج نافذة القطار بارد على جبهته. يتذكر اليد اللطيفة والباردة لجوسلين حين كادت الحمى الخبيثة تقضي عليه. الصور الجميلة تطفو دوماً على السطح حين يرغب المرء بإغراقها.

عندما يصل القطار في الفجر إلى محطة بروكسل-ميدي، ينتظر نزول جميع المسافرين ليغادر العربة. عيناه حمراوان؛ كعيون الرجال المستقيظين باكراً والمتراصين ليمكثوا دافئين في مقاهي المحطات الصغيرة؛ الرجال الذين يغمسون البسكويت أو خبز الحليب في فناجين القهوة الصغيرة الكثيفة كقطران. إنها القهوة الأولى في حياته الجديدة وليست لذيذة.

اختار بلجيكا لأن سكانها يتحدثون الفرنسية. إنها اللغة الوحيدة التي يعرفها. وفوق ذلك، ليس كل الكلمات، كان قد قال لجوسلين عندما كان قد أغواها بلطف؛ فضحكت وتفوهت بهذا: إنه **التعايش**، وأومأ بالنفي برأسه في حين قالت له إن هذا ما تنتظره من الحب وخفق قلباهما.

يمشي تحت رذاذ من المطر يخز بشرته. انظروا، يعبس ويصبح بشعاً، كان وسيماً حين كانت جوسلين تنظر إليه. كانت لديه هيئة فينانتو فينانتيني. ظلّ لبضعة أيام الرجل الأكثر وسامة في العالم. يجتاز شارع ميدي، ويحاذي شارع واترلو، ويرتقي جادة لويز، وطريق ريجنس حتى ساحة سابلون. هناك يوجد المنزل الذي استأجره. يتساءل لماذا أخذه كبيراً. ربما يؤمن بالمغفرة. لعله يتخيل أن جوسلين ستأتي لتنضم إليه يوماً؛ وأنهما سيتفهمان يوماً الأمور التي لا تفسر. وبأن الجميع يجتمعون يوماً، حتى الملائكة والفتيات الصغيرات الميتات. يفكر أن عليه البحث عن تعريف **التعايش** في القاموس منذ ردح من الزمن. لكن الإثارة تجرفه الآن. إنه رجل غني. تقوده لذته العارمة.

يشتري سيارة حمراء ذات استطاعة كبيرة وغالية الثمن، أودي

آ6 رس. يشتري ساعة باتيك فيليب ذات التعقيد الحسابي السنوي، وأوميغا سبيدماستر مونويتش، وتلفزيون ذو شاشة مسطحة ماركة لووي والمجموعة الكاملة من ثلاثية جايسون بورن(*). يستعيد

(*) تدور أحداث السلسلة عن شاب يُدعى دايفيد ويب (مات ديمون) يتطوع للعمل في مشروع سري حكومي يسمى (تريديستون) والهدف من هذا المشروع هو تدريب عملاء أكفاء للقضاء على الأعداء الذين يشكلون تهديداً للولايات المتحدة بسرية وعدم ترك أي آثار تقود إلى المشروع أو تهدد بكشفه، ويتمّ إعطاء دايفيد ويب هوية جديدة اسمها جايسون بورن، وتقوم الوكالة بإجراء غسيل دماغ لعميلها الجديد حتى لا يتذكّر أي شيء عن حياته الماضية، ويكلّف بورن باول بعملية له مع الوكالة والتي تُعد اختباراً له وإذا نجح فيها فسيصبح عميلاً وهذه المهمة هي قتل عضو في البرلمان الروسي يُدعى فلاديمير نيسكي، وينجح بورن في هذه المهمة وتعتمد عليه الوكالة في القيام بعدة عمليات كانت إحداها قتل رجل أسود يدعى ومبوسي، ولكنه يفشل في هذه المهمة، ويتم العثور عليه في البحر من قبل مجموعة صيادين وقد أغمي عليه وفقد الذاكرة وعندما يرسو المركب على الشواطئ الفرنسية يبدأ بورن في البحث عن شخصيته، ولكنه لا يعرف من أين يبدأ ولكن الأحداث تقوده للعثور على جوازات سفر مسجّلة باسم بورن ومن هنا يبدأ البحث، وبعد ذلك يلتقي بفتاة في السفارة الأميركية تدعى ماري (فرانكا بوتنت) ويطلب منها إيصاله إلى العاصمة باريس مقابل 20 ألف دولار فتوافق على ذلك لحاجتها إلى المال، وتتطور الأحداث لتنكشف شخصيته عند الشرطة الفرنسية وتبدأ بملاحقته هو وماري، وعند ذلك يدرك جايسون بأنه ورّط الفتاة معه ويقرِّر إيصالها إلى برّ الأمان وفي أثناء قيامه بذلك يستعيد بعض الأحداث من ماضيه، وتتعقد الأمور أكثر فأكثر فيجد نفسه يجيد العديد من اللغات ويقاتل العديد من الأشخاص في الوقت نفسه، ويجيد استعمال الأسلحة من البنادق والمسدسات، بل وحتى الطائرات والدبابات، وعندما تبدأ صور جايسون في الظهور على التلفزيون وتجد الوكالة أنه يشكِّل تهديداً خطيراً، تقرِّر إرسال أفضل عملائها للقضاء عليه، ولكنه يتمكّن هو والفتاة من الهرب إلى الهند، ويطلب من الوكالة التوقُّف عن ملاحقته وإلا =

أحلامه. يشتري عشر قمصان ماركة لاكوست. أحذية بيرلوتي. وويستون. وبيكمبيرغ. يطلب تفصيل بدلة على مقاسه عند دروموي. وأخرى من عند ديور، التي لا يحبها. يرميها. يستخدم مدبرة منزل لأجل المنزل الكبير. يتغدى في المقاهي حول غراند بلاس. إيل غريغو. وباجون. ويتناول مساءً بيتزا أوسوشي. يستأنف شرب البيرة، الحقيقية؛ بيرة الرجال التائهين، بيرة النظرات المشوشة. يحب البورنيم الثلاثي، ويعشق دُوَار الكاستلبيه الذي يعاير أحد عشرة درجة من الكحول. تغلظ قسماته. يسمن ببطء. يمضي فترة العصر على شرفات المقاهي محاولاً كسب أصدقاء. النقاشات نادرة. والناس وحيدون مع هواتفهم المحمولة. يقذفون آلاف الكلمات في فراغ حياتهم. ينصحونه في مكتب السياحة بشارع رويال برحلة بحرية للعازبين إلى أقنية بيرجواز؛ وهناك امرأتان شهوانيتان في سن الواحد والعشرين؛ إنه فيلم سيئ. يذهب إلى البحر في عطلة نهاية الأسبوع. إلى كنوك-لو-زوت، وينزل إلى مانواردو دراغون أو إلى روز دوشوبان. يُقْرِضُ النقود التي لن يراها ثانية. يخرج أحياناً في المساء. يتردد على النوادي. يتبادل بضعَ قُبَل بائسة. يحاول إغواء بعض الفتيات. يضحكن. الأمر لا يجري على ما يرام. يدفع ثمن الكثير من أقداح الشمبانيا وأحياناً يستطيع أن يلمس نهداً، فرجاً نازفاً، ضارباً إلى البنفسجي. لياليه باردة ومملة وخائبة. يعود وحيداً. يشرب وحيداً. يضحك وحيداً. يشاهد الأفلام وحيداً. يفكر

= سيبدأ بمطاردتهم واحداً تلو الآخر حتى يقضي عليهم جميعاً، ولكن الوكالة تستمر في ملاحقة عميلها السابق، ويقوم أحد عملائها بقتل ماري، وعند ذلك يتعهد بورن بالقضاء على مشروع (تريديستون) ومَن يقف خلفه.

أحياناً في آراس حين يفتح زجاجة بيرة أخرى ليتباعد عنها، ويستأنف حالة الكآبة.

يختار أحياناً فتاة على الإنترنت، كما يختار فاكهة من فوق عربة في المطعم. تأتي الفتاة لتستسلم في ظلمة منزله الكبير. تبتلع أوراقه النقدية وتكاد تمصّه لأنه لا ينتصب. انظروا إليه حين تصفق الباب: يدع نفسه ينزلق على البلاط البارد، إنها تراجيديا رثة، يتقوقع على نفسه، إنه كلب عجوز؛ ينتحب، تسيل مخاوفه ومخاطه، وينضح ظلمات ليله، دون وجود أي رفيقة لتمدّ له ذراعيها وتحتضنه.

جوسلن غيربيت فرّ منذ عشرة أشهر عندما استولى عليه البرد.

يأخذ حماماً ساخناً، لكن البرد حاضر دوماً. تنضح بشرته بخاراً ومع ذلك يرتعش. تبدو أنامله الزرقاء والمجعدة على وشك أن تنفصل عنه. يرغب بالعودة. إنه مشتت. المال لا يصنع الحب. يفتقد جوسلين. يتخيل ضحكاتها ورائحة بشرتها. يحب زواجهما وابنيهما الحيويين. يحب الخوف الذي كان يراوده أحياناً من ألا تعود جميلة للغاية وذكية للغاية بالنسبة له. كان يحب فكرة أن بوسعه أن يسبب هلاكها، كانت تجعله أفضل زوج. يحب حين ترفع عينيها عن كتاب لتبتسم له. يحب يديها اللتين لا ترتعشان، وأحلامها المنسية عن الأسلوبية. يحب حبها ودفئها ويفهم فجأة البرد والجليد. يثير الكائن المحبوب الدفء، ويؤجج الرغبة. يخرج من الحمام مرتعداً. لا يضرب الجدار كما ظلّ يفعل ذلك لزمن غير طويل. ووصل إلى تدجين ألمه على ناديج، فلم يعد يتحدث عن ذلك؛ ولم يعد يسبب لجوسلين ذاك الألم.

لا يفتح زجاجة البيرة. ترتعش شفتاه. فمه جاف. ينظر إلى

الصالون الفسيح من حوله، إنه الفراغ. لا يحب هذه الأريكة البيضاء. وهذه الطاولة الواطئة المذهبة. والمجلات الموضوعة فوقها للتجميل، التي لا يقرأها أحد. هذا المساء لم يعد يحب سيارة الأودي الحمراء، وساعة الباتيك، والفتيات اللاتي يدفع لهن ولا يحتضننه؛ جسده بدين وأصابعه منتفخة وهذا البرد.

لا يفتح زجاجة البيرة. ينهض ويترك مصباح المدخل مضاءً فيما لو اضطرت جوسلين المغامرة أن تجده هذه الليلة، فيما لو جاءته المتسامحة المغامرة لتقرع بابه، ويصعد. إنه درج طويل، تتبدى منه صور السقوط. فيلم **دُوَار**(*) فيلم **ذهب مع الريح**(**). فيلم **المدمرة**

(*) **فيلم الدوار**: اعتبر واحداً من أروع أفلام ألفريد هيتشكوك (والأكثر شخصيةً، وفقاً لهيتشكوك نفسه). وهو تكييف سينمائي لرواية D'entre les morts الفرنسية وينسج شبكة معقدة من الاستحواذ الهاجسي والخداع. ويبدأ الفيلم حين يدرك سكوتي فيرغوسون (ويقوم بدوره جيمس ستيوارت) أن لديه دواراً "vertigo"، أو دوخة، وهي حالة تنجم عن الخوف من الأماكن المرتفعة، وعندها يُقتل ضابط شرطة وهو يحاول إنقاذ سكوتي من السقوط من بناية عالية. فيتقاعد سكوتي من منصبه كمحقق خاص، لكن صديقه القديم أيام الكلية غافين ألستر يغريه بتولّي قضية أخرى. إذ استحوذت على مادلين (كيم نوفاك)، زوجة صديقه ألستر، روح، ويريد منه ألستر أن يتتبعها. ويوافق بعد تردُّد، وهكذا يبدأ المونتاج الصامت للفيلم حين يتتبّع سكوتي مادلين الجميلة والغامضة عبر سان فرانسيسكو الخمسينيات من القرن الماضي. وبعد أن ينقذها سكوتي من الانتحار، يبدأ بالوقوع في حبها، ويبدو أنها تبادله المشاعر ذاتها. وهنا تقع المأساة، وتغيّر انعطافات النصف الثاني من الفيلم تصوراتنا المسبقة عن الشخصيات والأحداث.

(**) **ذهب مع الريح** فيلم أُنتِج في عام 1939 عن رواية مارغريت ميتشل الشهيرة **ذهب مع الريح**.

بوتمكين[*]. دم يسيل من الأذنين. عظام تتحطم.

تتشبث أصابعه بالدرابزين، ولا تبدأ فكرة الغفران إلا عندما ينهض من جديد.

ينطلق إلى لندن. ظلَّت يداه دبقتين طوال ساعتين في القطار. كما عندما ذهب إلى أول موعد غرامي. أربعون متراً تحت البحر. إنه خائف. سيرى نادين. رفضت في البداية. ألحَّ كثيراً. وصار يتوسل تقريباً. إنها مسألة حياة أو موت. وجدت هذا التعبير ميلودرامياً للغاية لكنه جعلها تبتسم ومن هذه الابتسامة دلف إليها.

يتواعدان في كافيه فلوريان، في الطابق الثالث من متجر هارود الشهير. يصل مبكراً. يريد أن يختار الطاولة المناسبة والأريكة المناسبة. يريد أن يراها تصل. وأن يحظى بوقت للتعرف إليها. يعرف أن الألم يعيد رسم الوجوه، ويغيِّر لون العيون. تقترب نادلة. يُفْهمها بإيماءة أنه لا يريد شيئاً. يخجل من أنه لا يستطيع حتى أن يقول بالإنجليزية: أنتظر ابنتي، ليست أموري على ما يرام يا آنسة، إنني خائف، ارتكبتُ حماقة كبيرة.

ها هي. جميلة ورقيقة ويرى من جديد الرضى، والشحوب المؤثر لجوسلين في حانوت مدام بيلارد للخياطة، في زمن لم يكن ليتخيل فيه أبداً أنه سيصبح لصاً وقاتلاً. ينهض. تبتسم. إنها امرأة؛ ما أسرع الزمن. ترتعش يداه. ولا يدري ماذا يفعل، لكنها تقرِّب وجهها. تقبِّله. صباح الخير بابا. **بابا**؛ كأنها قادمة من ألف عام.

(*) *"Le Cuirassé Potemkine"* **المدمرة بوتمكين**، وتُترجم أحياناً المدرعة بوتمكين: هو فيلم صامت سوفييتي أنتج عام 1925 من إخراج سيرغي أيزنشتاين.

يجب أن يجلس فهو ليس على ما يرام. يفتقد الهواء. تسأله إن كان بخير. يجيب نعم، نعم، إنه الانفعال، أنا في غاية السعادة. أنتِ جميلة. تجرَّأ أن يقول هذه العبارة لابنته. لم تحمرّ خجلاً. بالأحرى، شاحبة. تقول، هذه أول مرة في حياتي تقول لي فيها شيئاً ما شخصياً جداً. كان يمكن أن تبكي، لكنها قوية للغاية. إنه هو من يبكي، الرجل العجوز. هو من يحاول أن يتمالك نفسه. أصغوا إليه. أنت رائعة الجمال يا ابنتي الصغيرة، مثل أمك. مثل أمك. تقترب النادلة من جديد، تندس، صامتة، كما لو أنها بطة. تقول لها نادين **بعد بضعة دقائق من فضلك** ويفهم جوسلين من رنين صوت ابنته الحيوي أنه محظوظ بالحديث معها وأن هذا الحظ يعيشه الآن. عندئذٍ يغوص. مضطرباً. سرقتُ أمك. خنتها. هربتُ. أشعرُ بالخجل وأعرف أن أوان الخجل قد فات. أنا. أنا. يبحث عن كلمات. أنا. لا تسعفه الكلمات. هذا صعب. أخبريني كيف يمكن أن أعتذر. ساعديني. ترفع نادين يدها. الأمر انتهى الآن. النادلة تحضر. **كأسا قهوة كبيران وقطعتا كاتو بالفاكهة؛ أجل مدام**، لم يفهم اللص شيئاً، لكنه يحب صوت ابنته. ينظر أحدهما إلى الآخر. غَيَّرَ الحزن لون عيني نادين. كانتا زرقاوين من قبل، في فترة آراس. أصبحتا رماديتين الآن، لونٌ رمادي ماطر؛ شارع يجف. تنظر إلى أبيها. تبحثُ في الوجه الحزين والمضطرب عمّا أحبّته أمها. تحاولُ أن تعثر فيه مرة أخرى على قسمات الممثل الإيطالي، على الضحكة الصافية والأسنان البيضاء. تتذكر الوجه الوسيم الذي كانت تقبِّله مساء عندما كانت تذهب للنوم؛ قُبَلُ بابا التي كانت بطعم بوظة الفانيلا والكوكيز، واللوز، والموز والكراميل. هل يصبح ما عاشه

المرء من جمال قبيحاً لأن الشخص الذي كان يُجَمِّلُ حياتكم خانكم؟ وهل تصبح الهدية الرائعة لطفل بشعة لأن الطفل صار قاتلاً؟ تقول نادين، لا أدري يا أبي. أعرف فقط أن أمي ليست على ما يرام، وإن العالم انهار بالنسبة لها.

وحين تضيف، بعد خمس ثوانٍ، وبالنسبة لي أيضاً انهار كل شيء، يعرف أن الأمر انتهى.

يمدّ يده إلى وجه ابنته؛ يودّ أن يلمسه ويداعبه للمرة الأخيرة، ويتدفأ به، لكن يده المتجلدة تتحجر. إنه وداع غريب وحزين. تُخفض نادين بصرها أخيراً. يفهم أنها تتركه يغادر من جديد دون أن توجّه إليه شتيمة النظر إلى جبان يفرّ. هذه هديته لأنه قال لها إنها جميلة.

في قطار العودة، يتذكر كلمات أمه حين أخبروها أن زوجها مات بأزمة قلبية في المكتب. هجرني أبوك، هجرنا! القذر، وأي قذر! وفيما بعد، بعد الدفن، عندما علمت أن قلبه انفجر وهو يضاجع مسؤولة المواد، وهي مطلقة شهوانية، قتلت نفسها. حتماً. كانت قد كبحت الكلمات في سرها وخاطت فمها وشاهد جوسلن الطفل أيضاً آفة اغتياب الرجال في قلب النساء.

يذهب في بروكسل إلى مكتبة تروبيسمي، في رواق برانس. يتذكر الكتاب الذي كانت ترفع عينيها عنه أحياناً لتبتسم له. كانت جميلة أثناء قراءته. وكانت تبدو سعيدة. يطلب **حسناء السنيور**، ويختار طبعة القطع الكبير، تلك التي كانت تقرأ فيها. يشتري قاموساً أيضاً. ثم يقضي نهاراته في القراءة. يبحث عن تعريف الكلمات التي لا يفهمها. يريد أن يعثر على ما كان يجعلها تحلم، على ما كان

يجعلها جميلة وعلى ما كان يجعلها ترفع عينيها أحياناً نحوه. لعلها كانت ترى أدريان دوم ولعلها كانت تحبه لهذا السبب بالضبط. يعتقد الرجال أنهم محبوبون كسنيورات في حين ربما كانوا مخيفين ببساطة. يصغي إلى تنهيدات الحسناء؛ والأحاديث الذاتية بصوت مرتفع **لراهبة الحب**. يضجر أحياناً من إسهاب المونولوجات الطويلة. يتساءل لماذا لا توجد علامات ترقيم على مدى صفحات عديدة؛ يقرأ عندئذٍ النص بصوت مرتفع ويتغير تنفّسه في صدى الصالون الكبير، يحتدّ ويتسارع؛ يشعر فجأة بدوار، كما في قلب نشوة؛ شيء ما أنثوي، لطيف، ويفهم سعادة جوسلين.

لكن النهاية فظّة. يضرب سولال في مرسيه (Marseille) أريان ويرغمها على مضاجعة عشيقها السابق؛ الحسناء عاهرة دون رضاها. وهذا السقوط في جنيف. يتساءل جوسلن وهو يغلقه من جديد فيما إذا لم يعزِّز الكتاب لدى زوجته فكرة أنها تجاوزت «السأم والتعب» اللذين استهلكا الشعراء الرومانسيين وأنها وصلت، بطريقتها، إلى حبٍّ لم يكن كماله في الخياطة وتسريحات الشعر والقبعات وإنما في الثقة والسلام.

ربما كان كتاب **حسناء السنيور** هو الكتاب المفقود وكانت جوسلين تقرأه لتقدِّر ما أنقذته.

يريد العودة الآن. لديه الكثير من الكلمات لأجلها؛ كلمات لم يتلفّظ بها قط. صار يعرف بعد الآن ما تعنيه كلمة **تعايش**.

يخشى أن يهاتفها. يخاف من صوته. يخاف ألّا ترفع السماعة. يخاف من الصمت والنحيب. يتساءل إن كان حسبه أن يعود، ويصل هذا المساء في الموعد المحدَّد للعشاء، ويضع المفتاح في القفل

ويدفع الباب. يؤمن بالمعجزات. وبأغنية ريغجياني، كلمات دابادي، **هل يوجد أحد/ هل يوجد أحد/ من هنا أسمع الكلب/ وإذا لم تكوني ميتة/ افتحي لي الباب لنتصافى/ أعرف أنني تأخّرت في العودة**. لكن ماذا لو غيّرت القفل. يقرر عندئذٍ أن يكتب رسالة.

فيما بعد، بعد أسابيع، حين أنهى الرسالة، يحملها إلى مكتب البريد في ساحة بويلير، قرب قصر العدل. إنه قلق. يسأل مراراً إن كانت رسوم التخليص تكفي. هذه رسالة مهمة. ينظر إلى اليد التي تلقي رسالته المترعة بالآمال وانطلاقها في السلة؛ وبسرعة تسقط رسائل أخرى، تغطي رسالته، تخنقها، وتجعلها تختفي. يشعر بنفسه تائهاً. إنه تائه.

يعود إلى المنزل الفسيح الفارغ. لم يبقَ فيه شي سوى الأريكة البيضاء. باع كل شيء، ووهب كل شيء. السيارة، التلفزيون، **جايسون بورن**، الأوميغا، ولم يعثر على الباتيك، فلم يهتم.

ينتظر على الأريكة البيضاء. ينتظر أن يندسّ جواب من تحت باب منزله. ينتظر طويلاً، طويلاً ولا شيء يأتي. يرتعش في الأيام التي تمضي، رتيبة، يسترخي جسده البارد. لم يعد يأكل، ولم يعد يتحرك. يشرب بضع جرعات من الماء في اليوم، وحين تفرغ الزجاجات، يتوقف عن الشرب. يبكي أحياناً. يتكلم أحياناً لوحده. يلفظ اسميهما. إنه **التعايش**، ولم يكن قد رآه.

وحين بدأ احتضاره، كان سعيداً.

البحر رمادي في نيس.

ثمة أمواج صاخبة في البعيد. دنتيللا من الزبد. وبضعة أشرعة تختلج، كأيدي تطلب النجدة، لكن أحداً لن يكترث لها.

إنه فصل الشتاء.

تبقى معظم ستائر العمارات في بروموناد دي إنغليه (Promenade des Anglais) مسدلة. تشبه الضمادات على الواجهات المهترئة. يَلْبُدُ العجائز في منازلهم. يشاهدون الأخبار في التلفاز، ونشرة الطقس السيئ. يمضغون طويلاً قبل أن يبلعوا. يستغرقون فجأة في الأحداث. ثم يغفون على الأريكة، وغطاء قطني على أرجلهم، وجهاز التلفاز يعمل. عليهم المكوث حتى الربيع، وإلا سيعثرون عليهم في شققهم أمواتاً؛ وستتسلل الروائح الكريهة، مع حرارة الأيام الأولى الصحوة، من تحت الأبواب والمداخن، والكوابيس. الأبناء بعيدون. لا يأتون إلا مع بداية الدفء. حين يستطيعون الاستفادة من البحر والشمس وشقة الجد. يعودون حين يستطيعون إجراء ترميمات وتنفيذ أحلامهم: توسيع الصالون، إصلاح الغرف، تركيب مدفأة، وضع شجرة زيتون في وعاء على الشرفة وذات يوم سيأكلون من زيتونها.

منذ ما يقارب العام والنصف، جلستُ هنا وحيدة، في المكان ذاته، والفصل ذاته. كنت أشعر بالبرد وأنتظره.

كنت قد تركت للتو ممرضات المركز. وأنا مفعمة بالحيوية والطمأنينة. وخلال بضعة أسابيع، كنتُ قد قتلتُ فيه شيئاً ما بداخلي.

شيء ما مخيف يسمى الطيبة.

تركتها تغادرني كقيح، كطفل ميت؛ كهدية تُقدَّم لكم وتُسترد في الحال.

عمل فظّ.

منذ ما يقارب الثمانية عشر شهراً، تركت نفسي أموت لأولد أخرى. أكثر برودة، وملامحها أكثر بروزاً. يعيد الألم تشكيلكم دوماً بطريقة غريبة.

وبعد ذلك وصلت رسالة جو، كنغمة مديدة في مأتم المرأة التي كنتها. مغلَّف مرسل من بلجيكا؛على قفاه، عنوان في بروكسل، ساحة سابلون. في الداخل، أربع صفحات بخط يده تقريباً. عبارات مدهشة وكلمات جديدة كأنها خارجة للتو من كتاب. **أعرف يا جو الآن أن الحب يقاوم الموت أفضل من الخيانة**[1]. كتابته وجلة. كان يريد في النهاية العودة. فقط العودة. العودة إلى منزلنا. والعثور من جديد على المنزل. غرفتنا. المصنع. المرآب. قطع أثاثه الصغيرة المرممة. العثور من جديد على ضحكاتنا. وتلفزيون

(1) بحسب أندريه موروا (1885-1967)، «الحب يقاوم الغياب أو الموت أفضل من الشك أو الخيانة».

الراديولا والبيرة دون كحول ورفاق يوم السبت، رفاقي الوحيدين الحقيقيين. وأنتِ. كان يريد أن يجدني أنا. أن أستعيد حبك، كتب، فهمت: **الحب هو الفهم**[1]. وكان يَعِدُ. سأكفِّر عن خطئي. خفتُ، وهربت. كان يقسم. ويبالغ في قسمه. كتب، أحبك. أفتقدك. كان يختنق. لم يكن يكذب، أعرف ذلك؛ لكن الأوان كان قد فات على كلماته الجميلة والمثابرة.

كانت دوائري الرحيمة قد ذابت. وتفجَّر الجليد. قاطعاً.

في رسالته، أرفق شيكاً.

خمسة عشر مليوناً ومئة وستة وثمانون ألفاً وأربعة أورو واثنان وسبعون سنتيماً.

لأمر جوسلين غيربيت.

وها أنذا أسألك المغفرة، كانت الأرقام تقول. المغفرة على خيانتي، على تخاذلي؛ المغفرة على جريمتي، على انقطاعي عن حبك.

ثلاثة ملايين وثلاثمئة وواحد وستين ألفاً ومئتين وستة وتسعين أورو وستة وخمسين سنتيماً قضت على حلمه وانتهت به إلى الاشمئزاز من نفسه.

لا شك أنه اشترى سيارة البورش، وشاشته المسطَّحة، والمجموعة الكاملة من أفلام الجاسوس الإنجليزي، وساعة سايكو، وساعة باتيك فيليب، وربما ساعة بريتلينغ، لامعة وبراقة، وبضعة

---

(1) بحسب فرانسواز ساغان (1935-2004) «الحب ليس فقط أن «تحب جيداً»، إنه فهم على الأخص». (في من أكون).

نساء أكثر شباباً وجمالاً مني، أجسادهن منتوفة الشعر، منفوخات، كاملات؛ ولا بد أنه التقى أشخاصاً سيئين، كما يحدث ذلك دوماً مع المرء عندما يكون لديه كنز - تذكروا القطة والثعلب اللذان يسرقان القطع النقدية الخمس التي عهد بها مانجفو إلى بانكشيو؛ ولا بد أنه عاش حيناً من الزمن كأمير، كما يرغب المرء دوماً أن يعيش حين تسقط عليه الثروة فجأة من أعلى، ليثأر ممّا لم يحظَ به في وقت أبكر. فنادق خمس نجوم، شمبانيا تيتنجر كومت، وكافيار؛ وبعد ذلك نزوات، يمكنني أن أتخيل ذلك جيداً يا لصي: لا أحب هذه الغرفة، الدوش يرشَح، اللحم مطهو أكثر ممّا ينبغي، الأغطية تحك؛ أريد فتاة أخرى؛ أريد أصدقاء.

أريد ما أضعته.

لم أجِبْ قط على رسالة قاتلي. تركتها تنزلق، تفرّ من يدي - رفرفت الأوراق لبرهة، وحين لامستْ أخيراً الأرض، تحولتْ إلى رماد ورحتُ أضحك.

لائحتي الأخيرة

الذهاب إلى مصفف الشعر، تقليم الأظافر وإزالة الشعر (لأول مرة في حياتي أزيل شعر الساعدين والإبطين والعانة - طبعاً ليس كل شيء - بواسطة شخص آخر غيري، إم، إم)

قضاء أسبوعين في لندن مع نادين وحبيبها الأصهب.

إعطاؤها القليل من المال لإنتاج فيلمها القصير القادم (أرسلت لي السيناريو عن التزلج الجديد، إنه مبتكر!!!)

فتح حساب توفير من أجل ابني الخبيث.

اختيار خزانة ملابس جديدة (مقاسي الآن 38!!! والرجال يبتسمون لي في الطريق!!!)

تنظيم معرض لرسومات أمي.

شراء منزل له حديقة كبيرة وشرفة تطل على البحر، في كاب فيررا، حيث سيكون أبي مرتاحاً. وعدم السؤال عن السعر خاصة، فقط توقيع الشيك، بوقاحة-)

نقل ضريح أمي ليصبح قربي وقرب أبي. (في حديقة المنزل أعلاه؟)

إعطاء مليون أورو لأي شخص أصادفه. (من؟ كيف؟)
العيش معه. (إلى جانبه في الحقيقة) والانتظار :-(
وهذا كل شيء.

حققتُ جميع الأشياء في لائحتي الأخيرة ما عدا تفصيلين. أزلتُ في النهاية الشعر كاملاً - هذا مثير، كأنني فتاة صغيرة السن - ولم أقرِّر بعد لمن سأهب المليون. أنتظر الابتسامة المفاجئة، خبر تافه في جريدة، نظرة حزينة وعطوفة؛ أنتظر إيماءة.

أمضيتُ أسبوعين رائعين في لندن مع ابنتي. استعدتُ من جديد اللحظات القديمة، حين كانت قسوة جو تجعلني ألجأ إلى غرفتها فتمسِّد فيها شعري حتى أستردّ الهدوء كبحيرة. وجدَتْني جميلة، ووجدْتُها سعيدة. حبيبها فورغوس هو الإيرلندي الوحيد في إنجلترا الذي لا يشرب البيرة وهذا التفصيل جعل مني أماً مقبولة. ذات صباح، صحبنا إلى بريستول، وجعلني أزور استديو آردمان حيث يعمل؛ لفتَ انتباهي إلى بائعة أزهار كان غرومي يعبُر أمامها راكضاً ومطارداً من كلب صغير. كان نهاراً رائعاً كما إبان الطفولة.

لم نبكِ حين افترقنا في سان-بنكراس. قالت لي نادين إن أباها جاء لرؤيتها منذ فترة من الزمن، وأنه كان يبدو تائهاً، لكنني لم أصغِ لها، ثم همست في أذني بكلمات أمومية: أنتِ تستحقين حياة جميلة يا أمي، أنتِ طيبة، حاولي أن تكوني سعيدة معه.

إنه هو. حبيبي فيتوريو غاسمان؛ ذاك الذي عشتُ إلى جانبه

أيضاً لأكثر من عام ونصف. لم يزل وسيماً كما يوم قبلتنا في نيغريسكو، واحتفظت شفتاه بعطر شاي أورانج بيكو، لكنه حين يقبِّل شفتيّ الآن، قلبي لا يخفق، وبشرتي لا تقشعر.

كان الجزيرة الوحيدة في ألمي.

هاتفته بالضبط بعد أن أكَّد لي نائب رئيس العمال المسؤول عن جو أنه قدَّم أسبوع إجازة. في اليوم الذي عرفتُ أنه خانني. هاتفته دون أن أتوقع للحظة أنه سيتذكرني، فربما لم يكن إلا مقتنصاً يُنَوِّم وفاء النساء بقدح شاي في بار نيغريسكو، تحت تأثير الإغراء العذب لعشرات الغرف الشاغرة. تَعَرَّفَ إلي على الفور. قال، كنت آمل أن تكوني أنتِ. كان صوته رزيناً وهادئاً. أصغى إلي. واستمعَ إلى غضبي. وفهمَ المضمر في حديثي. ولفظَ كلماته باحترام، **دعيني أساعدك**.

إنها الكلمة السحرية التي تفتحني. وتشقني أخيراً. كانت تجعل مني الحسناء الأثيرية؛ أريان دوم على حافة الفراغ ذات يوم جمعة من شهر أيلول/ سبتمبر عام 1937 في جنيف.

تركته يساعدني. استسلمت.

في كل يوم نذهب إلى الشاطئ وفي كل يوم نجلس على الحصى غير المريحة. لم أرغب بكراسي صغيرة من القماش ولا بوسائد. أريد كل شيء كما في يومنا الأول، يوم حلمي كعاشقة ممكنة؛ ذاك اليوم الذي قررت فيه أنّ خبث جو وعزلتي ليسا سببين كافيين. لست آسفة على شيء. فقد وهبت نفسي لجو. أحببته دون مقاومة ودون أفكار مسبقة. وانتهيت إلى الاعتزاز بذكرى يده الدبقة على يدي منذ موعدنا الأول في محل أركاد للتبغ؛ وكان يحدث لي أيضاً أن أبكي

فرحاً حين كنت أغمض عيني وأستمع إلى كلماته الأولى، **إنكِ أنتِ الرائعة**. اعتدتُ على رائحته الواخزة الحيوانية. غفرتُ له الكثير لأنّ الحب يتطلب الكثير من الغفران. هيأت نفسي للسهر إلى جانبه دون أن يكون قد تفوه قط بكلمات جميلة أو عبارة منمقة، فهذا الهراء، كما تعلمون، هو الذي يأسر قلوب الفتيات ويجعلهن وفيات إلى الأبد.

كنت قد حاولت أن أنحف ليس لكي يجدني جميلة إنما ليكون فخوراً بي.

أنتِ جميلة، يقول لي من سأستفيد منه بعد الآن بينما كنت أريد أن أصبح جميلة لأجل شخص آخر؛ لكنني أحب أن أراكِ تبتسمين أحياناً يا جو. إنه رجل طيب؛ لم يعرف الخيانة. حبه صبرٌ.

أبتسم في المساء، أحياناً، عندما نعود إلى منزلنا، إلى هذه الفيلا الفسيحة والرائعة في فيلفرانش-سير-مير (Villefranche-sur-Mer) التي وقَّعتُ عقد شرائها بتهور، ووقعت، الشيك **بخفة**؛ أبتسم حين أجد أبي، جالساً على الشرفة، وممرضته بقربه؛ أبي الذي ينظر إلى البحر ويبحث في السحب، بعيني طفل، عن خيالات: عن دببة، عن خرائط للأرض الموعودة، عن رسوم أمي.

أبتسم لمدة ست دقائق، حين أختلق له حياة جديدة في نداوة المساء.

أنت عظيم يا أبي، وباحث شهير؛ حائز على وسام جوقة الشرف بناء على إقتراح الوزير هيبر كيريان. ركَّبتَ عقاراً مضاداً لانسداد الأوعية الدموية بالاعتماد على أنزيم مضاد للشحوم وكنتَ مرشحاً لجائزة نوبل. وحتى أعددتَ خطاباً باللغة السويدية، وكنتَ

تأتي كل مساء لتردِّده في غرفتي وكنتُ أضحك من نبرتك الوقورة الصادرة عن الحنجرة. لكن شارب وروبر هما من حصلا عليها ذلك العام، لاكتشافهما الجينات المتضاعفة.

حدث هذا مساء أمس، وأحب أبي حياته.

في هذا المساء؛ أنتَ طبقة صوت كونترتينور (contr-ténor) عجيبة. إنك وسيم والنساء يتأوَّهن وقلوبهن تخفق. درستَ في سكولا كانتورام في بال **وأوبرا يوليوس قيصر في مصر**(*) لهايندل هي التي جعلتك مشهوراً؛ أجل، وهكذا التقيتَ أمي. هنأتْكَ بعد حفلتك الفنية، جاءتْ إلى مقصورتك، كانت تمسك وروداً دون أزهار في يدها، وكانت تبكي؛ وقعْتَ في غرامها وتلقَّفتك أحضانها.

تغرورق عيناه بدموع لامعة وسعيدة.

غداً، سأروي لك أنك الأكثر إدهاشاً وروعة بين الآباء. سأحدثكَ عن الدوش الذي كانت أمي ترغمك على أخذه فور عودتك لأنها تخشى أن يحولنا ميثيل كلوريد الأمونيوم إلى وحوش كما في فيلم **حساء الكرنب**. وسأحدثكَ عن فريقنا في لعبة المونوبولي، وسأقول لكَ إنك كنتَ تغش لتتركني أربح وسأبوح لك أنك ذات مرة أخبرتني بأنني جميلة، وأنني صدقتكَ وأن هذا جعلني أبكي.

أجل، أبتسم في المساء؛ أحياناً.

(*) **يوليوس قيصر في مصر** هي الأوبرا السادسة التي كتبها هاندل في لندن للأكاديمية الملكية للموسيقى. أنشئ لأجلها مسرح الملك في هايماركت في 20 شباط/ فبراير 1724.

المنزل ساكن.

ينام أبي في الغرفة الرطبة في الطابق الأرضي. غادرت الممرضة لتقابل خطيبها؛ إنه شاب قوي وطويل ذو ابتسامة جميلة، يحلم بأفريقيا وبالمدارس والآبار (مرشح لنيل مليوني؟).

شربتُ، أنا وحبيبي فيتوريو غاسمان، شمبانيا منذ قليل، في ظل الشرفة؛ كانت يده ترتعش في يدي، أعرف أنني لست متأكدة، بسبب الريح دون شك، وربما ارتعاشة غصن؛ لا بد أنني فقدتُ الاطمئنان حيال الرجل بعد الآن، ليس الأمر بيدي.

نهض بصمت، وطبع قبلة على جبيني: لا تتأخري كثيراً يا جو، أنتظرك؛ وقبل أن يذهب ليأمل في غرفتنا شفاءً لن يأتي هذا المساء، وضع سي دي (CD) فيه نغم لموزارت أحبه حباً جماً، ورفع الصوت بما يكفي لكي يغمر الشرفة، لكن دون أن يوقظ صوت الكونترتينور الساحر، الغشاش في لعبة المونوبولي والمرشح لجائزة نوبل.

وفي هذا المساء، كما في الأمسيات، تقترن شفتاي، في تصويت إيمائي كامل، بشفتي كيري توكانوا، وتتلفظان بالغناء الشجي للكونتيسة ألما فيفا: *Dove sono i bei momenti/ Di dolcezza e di piacer?/ Dove andaro i giuramenti/ Di quel labbro*

menzogner?/ Perché mai se in pianti e in pene/ Per me tutto si cangio/ La memoria di quel bene/ Dal mio sen non trapasso?[1]

أغني لنفسي، بصمت، ووجهي ملتفت نحو البحر المظلم.

إنني محبوبة. لكنني لم أعد أحب.

(1) «أين ذهبت اللحظات الجميلة/ لحظات الحنان والمتعة؟/ أين ذهبت العهود/ من هذه الشفاه الكاذبة؟/ ولماذا تغير كل شيء بالنسبة لي/ في الدموع والألم/ ولماذا ذكراهم/ لم تغادر قلبي؟» (**أعراس الفيغارو**، الفصل الثالث).

De mariane62@yahoo.fr
À Jo@dixdoigtsdor.com

صباح الخير جو. أنا وفية لمدوَّنتكِ منذ البداية. شجَّعتني في فترة من حياتي لم أكن فيها على ما يُرام وأتاحت لي أن أتشبَّث بخيوطك للثبات وبقطع أخرى من صوف الآزوريت لئلا أسقط... بفضلك وبفضل كلماتك الجميلة لم أسقط. شكراً من كل قلبي. وأنا بدوري موجودة لأجلك إن أردت، إن احتجت شيئاً. أتمنى أن تعرفي ذلك. ماريان.

De sylvie-poisson@laposte.net
À Jo@dixdoigtsdor.com

أعشق مدوَّنتك. لكن لماذا لم تعودي تكتبين؟ سيلفي بواسون، من جونلان.

ملاحظة. لا أقول إن مقالات مادو وتيريز ليست جيدة، لكن هذا ليس الأمر ذاته:-)

De mariedorves@yahoo.fr
À Jo@dixdoigtsdor.com

صباح الخير جو. هل تتذكرينني؟ أجبتني بمنتهى اللطف حين أرسلتُ لكِ أمنياتي بالشفاء لزوجك الذي أصيب بكريب أتش إن. تبدين مغرمة به كثيراً، إلى حدّ أنّ هذا كان مجدياً. زوجي مات مؤخراً في العمل بعد أن وقعت آلة بيتون على رأسه في ورشة وهذه كلمتك التي قرأتها في المقبرة وترين فيها أنّ المرء لا يحظى إلا بحبيب واحد وكان هو حبيبي، جيانو. أشتاق إليه ولك أيضاً. هيا، سأتركك لأنني بدأتُ أبكي تقريباً.

De françoise-et-daniele@coiffesthetique_arras.fr
À Jo@dixdoigtsdor.com

جو، أنت بلهههههاء! أنت مجنونة!!!! مجنونة ومجنونة ومجنونة مرة أخرى! إنهما رائعتان. ومع بصل الفلاحين المرسوم على السقف والمرايا العاكسة المطلية بالكروم جميلتان، جميلتان، جميلتان كما في أغنية كلوكلو! إنهما سيارتا الميني الألطف اللتين شاهدناهما من قبل. يعتقد سكان الحي أننا نحن من ربحنا! أنت تفهمين! ثمة الكثير من الطامعين الآن، يرسلون لنا الأزهار والقصائد والشوكولا. سنصبح بدينتين!!!!! وحتى يوجد صبي في سن الخامسة عشرة مغرم بكلتينا ويريد الفرار معنا. ينتظرنا كل مساء مع حقيبته خلف البرج، فتصوري! في المساء، نختبئ لنرى رأسه، إنه ظريف للغاية!!! خمسة عشر عاماً، تفهمين! ويريدنا كلتانا، آه، في

رسالته الأخيرة، قال إنه سيقتل نفسه إن لم نأتِ، إنه لطيف جداً!!!
الصالون مزدحم طوال الوقت، واضطررنا إلى تشغيل فتاتين إحداهما جولييت بوكيت، لعلّك تتذكرينها، تلك التي خرجت مع فابيان ديروم وانتهى الأمر على نحو سيئ لأن والديها ظنّا أنه جعلها حبلى، باختصار، أصبح كل هذا من الماضي. يبقى أننا بفضل سيارتيك الميني أصبحنا الآن حسناوتي آراس وعمّا قريب سننزل لرؤيتك حتى لو ما زلت ترفضين، سنجعلها مفاجأة لك. حسن، نتصور أنك تعرفين ما حصل لجو، وكيف أخبر الجيران الشرطة بسبب الرائحة؛ شَكَّلَ ذلك صدمة بالنسبة إلى جميع الناس هنا، خاصة أنه كان يبتسم، لكن لم يعد أحد يتحدث عن هذا الأمر.

تقارب الآن الساعة الثانية، سنتركك يا جو، وسنذهب لنلعب اللوتو ومن ثم نعود لفتح الصالون. نعانقك بآلاف القبل. الأختان التوأمان اللتان تحبانك.

De fergus@aardman-studios.uk
À Jo@dixdoigtsdor.com

تحية أمي الجميلة. أكتب لك بضع كلمات أخبرك فيها أنّ نادين حامل وتنتظر مولوداً وأنها لم تجرؤ على قول ذلك، لكنها سعيدة جداً جداً، تعالي في الحال فهي سوف تحتاج إليك. قبلاتي الحارة. فيرغوس.

De faouz_belle@faouz_belle.be
À Jo@dixdoigtsdor.com

صباح الخير مدام غيربيت.

أنا فوزية. أعيش في كنوك- لو-زوت حيث التقيت زوجك. كان يحدِّثني طوال الوقت عنك، عن متجرك للخياطة، عن موقعك الإلكتروني؛ كان يبكي أحياناً وكان يدفع لي كي أواسيه. لم أقُم إلا بمهنتي وأعرف أنك لن تحقدي علي. قبل أن يرحل، أعطاني ساعة باتيك ومنذ فترة وجيزة عرفت قيمتها الحقيقية، وفكّرت أنها تخصك. أشكرك إن قلت لي إلى أين يمكنني إرسالها. أنا آسفة على ما حصل لكم. فوزية.

De maelysse.quemener@gmail.fr
À Jo@dixdoigtsdor.com

أبحث عن خيوط تطريز حريرية من أجل نورس، ألديك منها؟ وهل تعرفين ورشة لحياكة السجاد اليدوي في منطة بينودية، أود أن أعلم؟ شكراً لمساعدتك.

ملحق

واقترب هذا الرجل مني؛ متردداً.

كنت أنهيت لتوي نقاشاً حول هذا الكتاب في مكتبة، وكتبت بضعة إهداءات، وكنت متعباً، وأتأهب للسفر، وأفكر بالمغادرة، لكن نظرته أوقفتني. نظرة عذبة على نحوٍ لا يصدَّق؛ نظرة موشّاة بالفرح والحزن. عندما أصبح على مسافة متر مني، شكرني. «شكراً. أصيبت والدتي بالزهايمر المبكر منذ نحو عامين. وهي تسكن منزلاً على بعد بضعة كيلومترات من هنا. أذهب لرؤيتها كل يوم أحد، لكنني لا أعرف ماذا أقول لها. لا أعرف. الأمر في غاية الصعوبة. فهي لا تعرفني. تحسبني أباها أو عمها العجوز. لكنني بعد أن قرأت كتابك، **لائحة رغباتي**، صرت أعرف. أقلد بطلتك البائعة في حانوت أدوات الخياطة، أختلق لها حيوات وتبدو سعيدة بذلك، وأنا أيضاً سعيد. أشكرك» كانت عيناه تلمعان وعيناي تدمعان.

إنه لأمر خارقٍ أن يحدث لقاء بين كتاب وجمهوره.

خطر لي في ذلك المساء أن هذا الرجل هو الجواب الذي أبحث عنه حين يسألني أحد لماذا أكتب. وراق لي التفكير بأنه يمكن

لكتاب أن يغيِّر شذرات من حياة وأجزاء من عبارات؛ وأن يفضي إلى ارتياد دروب غير مطروقة.

كتبت هذا الكتاب لأنني أحنّ إلى أمي. ومع أنها لم تكن قط بائعة في حانوت أدوات خياطة، لكنها كانت تحيك. أتذكَّر الأقنعة القطنية التي كانت تنسدل على عيني أو تُشدّ كجورب، والكنزات الصوفية التي كانت أكمامها أطول ممّا ينبغي وفي المرة التالية أقصر ممّا ينبغي؛ كانت أمي تحاول أن تجاري سرعة تغيُّر مقاس جسدي وكنت أعرف أن هذه الملابس تساعدها وتواسيها. وفي ما بعد، عندما رحلت بعد سنوات، تمنّيت بقاءها.

كنت أحنّ إلى كلماتها ونظرتها إلى الأشياء أيضاً، إلى فرحها وحزنها؛ فاختلقتُ جوسلين غيربيت. وخلال كتابة هذه الرواية، تقمَّصت شخصيتها، وأصبحتُ أنا هي؛ فحلمت بها منذ اللحظة التي صار بوسعها أن تقرر فيها حياتها أخيراً. وسعيتُ إلى نسج علاقتنا المفقودة وغدَت بائعة في حانوت أدوات الخياطة.

بائعة حانوت الخياطة التي تعرف ما شعر به توماس داكان: السعادة هي استمرار المرء بالرغبة بما لديه.

السؤال الذي طرحته أغلب الأحيان على نفسي هو كيف تصرفتُ لأصل إلى هذه النقطة في الكتاب، ولأغدو أكثر قرباً من النساء ولأفهمهن على أحسن وجه؟! سبق أن أجبتُ، إنه الحنين. والجواب موجود أيضاً في إيماءات ولطف وروح النساء اللاتي يعشْن معي، زوجتي وبناتي الثلاث؛ ولدى كثير من النساء الأخريات اللاتي يشاطرنني مهنتي منذ سنوات مديدة. كنت أريد أن أقول لهن

إنني أحبهن؛ وكما كتبت ساغان التي استشهد بها جوسلن في رسالته الأخيرة: «الحب، هو الفهم في الأخص»

منذ البداية، كان هذا الكتاب فرحاً.

فرح بالكتابة. وفرح عندما وجدت كارينا حسين العنوان. وفرح عندما تلقيت اتصالاً هاتفياً مذهلاً من إيفا بروردان من صالون فرانكفورت أخبرتني خلاله أن اثني عشر بلداً اشتروا حقوق نشر الكتاب (مع أنه لم يكن ليصدر في فرنسا إلا بعد بضعة أشهر). وفرح يوم عرفنا أن الكتاب سيُصبح فيلماً سينمائياً. وأنه سينضمّ إلى قائمة ليفر دو بوش المدهشة. فرح بالرسالة الأولى من قارئة. وفرحٌ بالرسالة العاشرة والمئة والخمسمئة. وفي كل مرة، هذا الفرح. في اللقاءات والنقاشات والمكتبات وجلسات توقيع الإهداءات الرائعة. وهذا الاستفسار أيضاً ذات يوم: «كيف يمكنك أن تحترف مهنة منفرة - أعترض - وتكتب كتباً في غاية الجمال؟» وفرح بما كتبته آن، المرأة ذات الأربعة والسبعين عاماً: «جوسلين أنقذتني، أجل، أجل كنت قد تركتُ القراءة، وفقدت الشعور بطعم أي شيء، وأهملت نفسي تماماً». وفي ما بعد، فرح بمشاهدة هذا النص والاستماع إليه على المسرح، بفضل ميكائيل شيرينيان وأدائه؛ وفرح بالمشاهدين.

يروق لي التفكير بأنه يمكن لكتاب أن يغير شذرات من حياة وأجزاء من عبارات؛ وأن يفضي إلى ارتياد دروب غير مطروقة.

هذه القصة هي نجاح، حدثٌ باهر: مصادفة وقعت. كم من الأشخاص يفشلون كل يوم وكم من الأشياء تخفق. في كل ثانية تقريباً. وفي لحظة إهمال. بينما أنا أستمتع. لقد أفعمتموني

بالسعادة. أشكركم على ذلك. منذ أن التقت جوسلين بقارئاتها لم يعُدن مهجورات. صار يترتَّب عليهن أن يكنّ سوية بكل بساطة.

الآن وقد تخليتُ عن البائعة في حانوت الخياطة، وهجرتُ أزراري وشرائطي المزركشة والخيوط المجدولة الأخرى، أفكر في المرأة التي كانت تحيك لي الحب.

آمل أنها فخورة بعملي.

الشكر

إلى كارينا حسين المذهلة.

إلى إيمانويل أللبيير، الجذابة لشدة تعلقها بالصحافة.

إلى كلير سيلف، وتطلبها المنشط.

والشكر لسيبيل ورافاييل اللتان شكلتا مع جوسلين الصداقات الأولى الثلاث.

وإلى كل العاملات في المدوَّنات، قارئات وقراء اللذين شجعوني منذ كتاب **العائلة**، وألهمتني حماستهم وصداقتهم الفرح بهذا الكتاب.

إلى جميع المكتبات التي دافعت عن روايتي الأولى.

إلى فاليري بروتون-بيدوك التي جعلتني أتذوق طعم **زواج فيغارو**(*).

إلى دانا أخيراً، التي هي مداد كل شيء.

(*) أوبرا زواج فيغارو لموزار تحكي قصة سوزانا، فتاة من عامة الشعب، خادمة الكونتيسة، تتحضر للزواج من فيغارو خادم الكونت، لكن الكونت معجب بسوزانا ولن يسمح بزواجها من فيغارو دون أن يكون أول من ينتزع عذريتها، حق أعطاه إياه انتماؤه لطبقة النبلاء. فيشرع سوزانا وفيغارو الرافضين لهذا المبدأ بحياكة خطة هدفها منع الكونت من تحقيق مأربه بل وكسر شوكته لانتزاع حق كسبه بمجرد كونه رجلاً ذا سطوة.

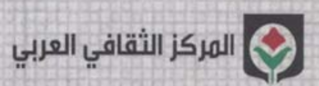
غريغوار دولاكور

لائحة رغباتي

من منا لم يحلم يوماً أن يربح اليانصيب، فقام يرسم خارطة الطريق لمستقبله الباهر؟ وهل هذا الربح هو بداية حياة جديدة حقاً تتحقق فيها الأحلام أم هو بداية الهموم؟ هذا ما كانت تطرحه جوسلين على نفسها عندما ربحت، بصدفةٍ سعيدة، جائزةَ اللوتو وتأكدت أنه صار لديها ما يفي بتحقيق جميع رغباتها. تملؤها النشوة بهذا الأمل، فقررت أن تأخذ وقتها قبل إخبار المقربين منها، وحتى ذلك الحين، بدأت تكتب لائحة بكل ما قد تمنحه لنفسها، من مشتريات، سواء الضروري منها أو الكماليات الزائدة.

لائحة رغباتي، هي رواية مثيرة مسكونة بشخصيات مؤثّرة، قصة مشوّقة تدعونا لإعادة النظر بلائحة رغباتنا. تتحدث بطريقة رائعة عن أمور جوهرية في الحياة: كالعلاقة بين الصداقة والحب والمال والسعادة... وتدعونا على هذا النحو إلى التفكير بالقيمة الحقيقية للأشياء. نخرج من هذه القراءة الممتعة مزهوّين، تملؤنا الرغبة للاستفادة من اللحظة الراهنة في حياتنا. إنه عمل أدبي يقرؤه المرء بسلاسةٍ ليستقر بعد ذلك في الذاكرة.

«كنت أعرف أن هذه النقود يمكن أن تفيدني،
لكنها يمكن أن تؤذيني أيضاً...»



الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com

